أصول الرؤية الإسلامية النقدية

١. القرآن الكريم:

جاء القرآن الكريم بالإعجاز العلمي واللغوي والتشريعي والثقافي والمنهجي وبكل أنواع الإعجاز التي يمكن للعقل البشري أن يصل إليه، بخطاب وأسلوب أدبي من دون سائر أنواع الخطابات الفلسفية والعلمية ؛ لإمكانية هذا الخطاب التوصيلية ، وديمومته وجماله ، وتفوقه على أنواع الخطاب الأخرى، بما يمتلكه من خصائص ومقومات ،وصار الأسلوب القرآني آية في ذاته تدل على أنه من عند الله تعالى بحسن انسجامه، ودقة ألفاظه ومعانيه، وعنايته بالمفردات والجمل وضرورة تقيدها وضبطها لما لها من دلالات عميقة ، فعاقب بني إسرائيل؛ لأنهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾: البقرة/٥٩ ووجه المسلمين إلى ضرورة الالتزام بالمصطلح والنظر فيه قبل استعماله لاسيما في خطابهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ ﴾ البقرة/١٠٤ وكان الصحابة رضي الله عنهم يستجيبون لهذه التوجيهات والإشارات النقدية ، ويفهمون الدلالات البعيدة للخطاب التي تحتاج إلى إعمال ذهن وذكاء، وقوة استنباط ،ويقلبون الكلمة على وجوهها ، فيفهمون ما ترمي إليه ، فيروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ ﴾ النصر/ ١ فسرها تفسيرا انفرد به على حداثة سنه فقال:(نعيت إلى نفسي بأنه مقبوض في تلك السـنة.[١]

وفي القرآن الكريم توجيهات ربانية تحث على إطالة النظر، وإجالة الفكر واستلهام العبر من آيات الكون الزاخرة المترامية التي سنورد بعضا منها:

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ ﴾ الطارق/ ٥
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ العنكبوت/ ٢٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ ﴾ سورة ق/٦

ففي هذه الآيات وغيرها أوامر إلهية صريحة ، لمداومة النظر في آيات الكون وما فيه من مخلوقات، ليزداد المؤمن إيمانا ورسوخا، فهي علامة على وجود خالق ومدبر لهذا الكون العظيم، وما من شك في أن النظر والتأمل وسيلة من الوسائل التي يتيقن الإنسان من خلالها بأن هناك ربا وراء ذلك الخلق العظيم ،والنظر بمعناه العام -على وفق ذلك- طريق لا بد منها لمن يريد أن يصل إلى كنه

الحقائق وأسرارها، وربما يمثل جوهر العملية النقدية ، وآية ذلك ما أورده الآمدي بقوله:"...فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك ،ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف"(٢) والقرآن يدعونا إلى التأمل وإطالة النظر، وإجالة الفكر بما يهيئ للعملية النقدية سبل وجودها ، ويحدد للذين يقصدون الحكم بين الناس، والحكم على الأشياء ،الكثير من المواصفات الخلقية والسلوكية واللغوية والاسلوبية والبيانية التي تتيح لهم أتباع الحق ، والتمسك بالصدق، وتحقيق العدل والكمال ، وبعث الجمال . قال تعالى:﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ الانعام/١٥٢ و قال تعالى ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ آل عمران/٦٠ ونهى عن الكذب والخداع والقول على الله بغير الحق ، قال تعالى﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الحاقة / ٤٤-٤٦ كما نهانا تبارك وتعالى عن الفحش من القول واجتناب الزور قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ الحج/٣٠ وهذه معايير صالحة ثابتة بين يدي الناقد المنصف ؛ لأنها منهج رباني ثابت لا يتبدل أو يتحول، ولا يتأثر بالأهواء والرغبات ،وقد وضع القرآن الكريم للناقد مقياسا منضبطا من خلال حده للشاعر وبيان وظيفته وربطه بالإيمان ، فالشاعر لا يكون شاعرا إلا إذا كان يصدر عن رؤية إيمانية ويقين ثابت ، وعمل صالح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الشعراء/ ٢٢٤ - ٢٢٧ ولم يكتف القرآن الكريم بما قدمه من معيار نقدي على مستوى المضمون فقط ، بل قدم معيارا نقديا آخر يتعلق بالشكل عبر صفاء لغته ونقائها من اللهجات الغريبة ، إذ أُنزل بأجودها وأفصحها ، وهي لغة قريش التي أصبحت لغة مقدسة، فحفظ القرآن للعرب لغتهم ، وأمدها بالفاظ جديدة ومعان سديدة، ومكنهم من امتلاك ناصية البيان ، وتذوق الشعر ، ونقد رديئة من حسنه ، على أساس ديني إيماني مرتبط بمعان وألفاظ صادرة من مشكاة ربانية. من ذلك ما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين سمع حسان بن ثابت يقول * :

يأبى لي السيف واللسان وقـــو م لم يضاموا كلـــــــبدة الأســـــــد

فقال ابن عمر:أفلا قال يأبى لي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

فقد أحس ابن عمر أن كلمة اللسان هنا قلقلة في مكانها ، والمقام يقتضي استعمال لفظ الجلالة بدلا منها (٣) والشواهد على هذا النحو كثيرة جدا ، وقدم القرآن الكريم رؤية عامة عن الجمال مؤسسا للنقد المنطلق في الحكم على النصوص ، وأثرى المكتبة النقدية بالعديد من الدراسات المتتالية عبر

العصور لسمة الإعجاز التي فيه، حيث لم تكن كتب الإعجاز القرآني منفصلة عن البلاغة والنقد ، ومن أهمها مجاز القرآن لأبي عبيدة الذي يعد أول المصنفات وأكملها من ناحية تطبيق المفهوم القرآني على النص ، وكان بحق نواة للنقد الإسلامي النزيه والعادل في تقييم النصوص ونقدها فحين يعرض أبو عبيدة بيت خفاف بن ندبة السلمي :

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها   فعمـــدا على عيني تيممت مالكا

يقول مثبتا معنى القرآن : وفي مجازه ما جاء خبرا عن الغائب ثم خوطب الشاهد بقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة /٢ يعقب قائلا : " وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب ، كما فعل خفاف " * ، قلنا ولو أن شاعرا نسج على نفس المنوال مقتديا لقلنا له: أحسنت وأجدت [٤] ، وسار على هذا المنهج الفراء في معاني النحو ، ومازال القرآن الكريم يعد أصلا من اصول النقد بما فيه من إشارات تتعلق بالناقد وعمله التي منها: الصدق في القول والأمانة ،والإيمان، والموضوعية ،وتأكيد أهمية الكلمة والمصطلح ، واستحضار النية والغاية والهدف ،هذا فضلا عن المقاييس الجمالية واللغوية التي يمكن للناقد استحضارها بما جاء به القرآن الكريم من أعجاز لغوي وبياني واسلوبي وبصيغة الخطاب الأدبي ، فيمكننا إذن أن ننطلق من هذا الأساس المتين ، بشرط أن نحسن التعامل معه بوصفه كتابا مقدسا يحتج به لا عليه، مع ضرورة التوسع في دائرة الاجتهاد في عملية استنباط الأحكام النقدية من النصوص القرآنية ، فليس بالضرورة أن ينص القرآن الكريم على مثل هذه القضايا على نحو صريح ؛ لأنه غير معني بالجزئيات شأنها شأن الكثير من المسائل الفقهية والشرعية المستنبطة ، وهو زيادة على ذلك ليس كتاب أدب أو نقد ونحوهما من العلوم والمعارف ، بل هو كتاب الله العظيم الذي أنزله منهاجا شاملا لكل ما يتعلق بحياة الإنسان معاشه ومعاده . والمسؤولية تقع على عاتق الناقد الإسلامي الذي ينبغي عليه تحديد أصول النظرية النقدية من خلال مصادرها الإسلامية بعقلية تجمع ما بين المرونة والخبرة العلمية المتخصصة المنطلقة من الأصول باتجاه الفكر وليس العكس ، والابتعاد عن النظرة الجزئية والتفسير الموضعي كما فعل البعض مع الآية المتعلقة بالشعراء، فلا بد من التعامل مع هذه القضية ومع كل قضية انطلاقا من قوله تعالى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ البقرة/ ٨٥ ومن دون إهمال لشاردة ولا واردة ؛ لأن منهجية الانتقاء بقصد أو بغير قصد مرفوضة شرعا في التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ... والمطلوب النظرة المتكاملة واستقراء الشواهد؛ لتحديد الخاص والعام .. والحلال والحرام .. والخروج بفكرة واضحة التصور ،تبتعد عن أسلوب طرح الشواهد والتهرب من استخراج (الفقه النقدي)كما فعل العلماء القدماء رحمهم الله ، الذين اكتفوا بذكر أسباب النزول من دون التطرق إلى الجوانب الأدبية والنقدية ؛" فأوجد ذلك فراغا فقهيا استغله تلاميذ

الفلسفة اليونانية في العصر العباسي ،وعندها قاموا بتعبئة هذا الفراغ ، وذلك بترجمة نظريات الشعر عند أفلاطون وأرسطو وهوراس، مما أوجد نقدا عربيا على قواعد الذوق الإغريقي ينحرف بذوق الأمة عن الاستقلال والتميز ، فكان هذا سببا في إجهاض الميلاد الحقيقي لنقد إسلامي يخرج من مرجعية الأمة ومن إنتاجها الإبداعي ."(٥) ليبق نقدنا المعاصر يدور على أبواب النظريات الوافدة.

٢- الأحاديث النبوية:

يبدو للبعض أن فكرة البحث عن اصول النقد في القرآن الكريم فكرة مستحيلة ، لثلاثة أسباب الأول –قلة النصوص التي تشير إلى هذه الاصول. والثاني عموميتها وشمولها. والثالث- القرآن الكريم كتاب تشريع لا علاقة له بأمور الأدب ونقده. وقد فات هؤلاء أن عدم التصريح بالنصوص في القرآن الكريم ليس سببا على عدم اتخاذه أصلا ، ففي المسائل الفقهية والشرعية أحكام لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما ذكرت في السنة، أو أنها ذكرت أجمالا فجاءت السنة موضحة وشارحة لها ، إذ لا يمكن الاستغناء بالكتاب عن السنة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: ١٦٤ ومن ثم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ)(٦). فالقرآن الكريم كتاب شامل ومنهج حياة يصلح لكل زمان ويتعلق بكل أطوار الإنسان من غير خلل ولا تقصير قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام/ ٣٨ وقد جاءت الأحاديث النبوية فيما يتعلق بالشعر والنظر فيه شارحة للمجمل الذي ذكره القرآن بهذا الخصوص ، و متفقة تماما مع التصور القرآني لمفهوم الشعر ووظيفته، قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم/ ٣ – ٤ فنجد النبي صلى الله عليه وسلم يحث الشعراء المسلمين على مواجهة أعدائهم من المشركين بالشعر بوصفه نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله ،فقال لحسان بن ثابت :(أهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل (٧) ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة وكلها تبين موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ووظيفته وهو موقف عام لكل شاعر يتخذ من اللسان سبيلا للجهاد (*)، ومن الإسلام نهجا لحياته وسلوكه ، أما الفن الشعري المنحرف المرتمي في أحضان الفحش والرذيلة فقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بقوله: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من يمتلئ شعرا) (٨) وجلي هنا أن موقف القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا ضد الشعر على إطلاقه، وإنما هما ضد الشعر الذي يقوض القيم الإنسانية ، ويقصي الإيمان من دائرته ، ويستجلب الكلام الفاحش ويفسد الأذواق والأخلاق، أما ما وراء ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم شجع الشعراء وأعلى من قيمة الشعر (إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما)(٩) فاستحسن الشعر، وعفا به عن

المخطئ، وقبل التوبة و أعطى قيل الشعر ،وكان أصحابه يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية فلا ينهاهم وربما تبسم(١٠) وكانت له صلى الله عليه وسلم توجيهات فنية نقدية فضلا عن موقفه من الشعر ووظيفته كتلك التي وجهها إلى شعر كعب بن مالك الانصاري باستبداله لـ (مجالدنا عن جذمنا) اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح ان تقول مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن ،
فقال كعب البيت .(١١)

مجالدنا عن ديننا كل فخـــــمة　　　مدربـــة فيها القوانس تــلمع

وبالمعيار الفني ذاته نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى شعر النابغة الجعدي (١٢)

أتيت رســـــول الله إذ جاء بالهدى　　　ويتلـــو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السمـــا مجدا وجوداً وسؤددا　　　وإنـا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فهذه الإشارات الفنية تفند الرأي السائد القائل : (بأن النقد في هذه المرحلة لا يعدو التوجيه الأخلاقي)(*) وربما تسلل هذا التصور من نفثات المستشرقين المسمومة لتجد لها أذانا صاغية عند غيرهم من الكتاب والنقاد العرب ٠ والحق كان يمكن لهذه الإشارات والتوجيهات أن تكون أصلا لو جمعت في حيز واحد، وتعاضدت الجهود على قراءتها وتصنيفها ، ففيها تترسم ملامح نظرية نقدية تتعلق بتحديد وظيفة الشعر واثره، فضلا عن التوجيهات الفنية واللغوية التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم على بعض أبيات الشعر، واحتكامه المعيار الأخلاقي المرتبط بقضية الصدق على أساسه الأخلاقي النابع من الدين ، ولا أظن ان في ذلك ما يسئ للنقد فأي ضرر يلحق بالنقد إذا أدخل في حيز عمله الأساس الأخلاقي بوصفه واحداً من الأسس الفنية والشكلية الأخرى ؟، وقد رسُخت مثل هذه الملامح على نحو أكبر في عصر الخلفاء الراشدين٠الذين جعلوا من الأخلاق والقيم الدينية معيارا أساسيا في عملية تقويم الشعر ونقده من خلال ممارستهم لبعض صور النقد٠ واستمرت هذه الأحكام طيلة خلافة الصحابة وما بعدها إلى المرحلة التي أطلت الفلسفة برأسها ، واستشرف علم الكلام الميدان ، ودخلت إلى حظيرة الإسلام أجناس وملل عديدة ؛ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، ولقابلية الإسلام على احتواء الجميع تحت جناحيه الدافئين ، فكان من الطبيعي أن يتأثر الفكر النقدي بهذه المؤثرات ويقف بعض النقاد موقفا مرتبكا من قضية الدين والأخلاق والشعر وهم بصدد الدفاع عن الشاعر أو الهجوم عليه ، إلا أن هذه المواقف لم تتجاوز التنظير إلى الممارسة التي ظل فيها الناقد يرفض رفضا قطعيا الفصل بين الدين والأخلاق ، كما سنبين ذلك لاحقا إن شاء الله ٠

إذن فالرؤية الإسلامية التي نرجوها في ميدان النقد ليست بدعة ، ولا نبتا مقطوع الجذور بل هي استمرار وبعث لمشروع نقدي له قواعده واصوله التي تناءت عنا لعوارض كثيرة ٠وهذا قسم من أصوله المتمثلة بما ورد في السنة النبوية وعلى مستويين :

المستوى الجزئي: خاص ببعض المواقف الفنية والتحليلية على صعيد الشكل والمضمون فيما أوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، مع الاجتهاد في جمعها وضم بعضها لبعض؛ لاستخراج الأحكام النقدية المتعلقة بالأدب ، ومحاولة تفصيل ما أجمله القرآن الكريم في هذا الباب، من خلال السنة النبوية بوصفها مُبينة للقرآن على وفق نظرة شمولية ، ومن هذه الأحاديث :

- قوله صلى الله عليه وسلم: (ما قال الشعراء بيتا أصدق من قولهم ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل..)[١٣]
- وقوله صلى الله عليه وسلم (الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام) [١٤]
- وقوله صلى الله عليه وسلم:(من قال في الإسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر) [١٥]
المستوى الشمولي (الكلي): وهو كل ما أوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمة ومعناها والبيان واثره ، والفصاحة وجمالها، واثر اللسان في توجيه الكلام وصرفه، واستعمال الكناية والتورية في حديثه ،وتغييره بعض أسماء الأمكنة والأشخاص والطرق ؛ لقبحها بأخرى أجمل منها ، وحسن استعماله للحروف والأدوات اللغوية ، ورفضه لبعض الصيغ لأسباب شرعية واسلوبية . وهذا ميدان رحب بحاجة إلى جهود متراصة لتنهل من معينه الثر ، ومن جملة هذا الرصيد: تغيير النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الصيغ والأساليب، بما يتفق والتصور الإسلامي، ومنها : "إن رجلا قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثرت دابته، فقلت: تَعِس الشيطان فقال: "لا تقل تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله؛ فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب " [١٦]
وقوله صلى الله عليه وسلم:(فلا تقل: لو إني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان)) [١٧] .
–وإن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة،ويقولون:ما شاء الله ثم شئت[*١٧] .
–وعنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسموا العنب الكرم، ولا تقولوا: خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر). [١٨]
- وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مر بأرض تسمى عفرة فسماها خضرة [١٩]
- وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقول يا شهاب فقال:(أنت هشام) [٢٠]
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح [٢١]) [*]

٣- أقوال الصحابة والتابعين

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين آية في الصدق والعدل، وهم التطبيق العملي للإسلام ، وكانوا بحق مصاحف تدب على الأرض ،كما أنهم أصحاب بيان وفصاحة وذوق رفيع ، ورأي سديد وفطرة سليمة ، ونظرة ثاقبة، وخلق جم ، وحدس صائب وهم فضلا عن ذلك أصحاب عهد ووعد ورحماء بينهم أشداء على الكفار يقولون الحق ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، وتلك أمور لا تجتمع في جيل غير جيلهم ، وهم بذلك المثال الأعلى بكل ما يصدر عنهم من زهد وعبادة وصبر وتوكل وتصويب ونقد ، فحري بنا أن نتوقف عند بعض ما بذروه من آراء نقدية ومواقف وتعليقات؛ لنضمن لنقدنا سلامة القاعدة وثبات الأصل، و نحفظ له هويته وذاته التي كادت أن تتلاشي خلف سحابات النظريات الوافدة ، وتعد مواقف الصحابة النقدية امتدادا لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية من الشعر

ووظيفته وتطبيقهما للمقاييس الإيمانية في عملية النقد، فأبو بكر رضي الله عنه يثني على لبيد بن ربيعة العامري حين قال: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ٠٠٠فقال:صدقت ولما قال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل قال الصديق: كذبت [٢٢]،وحرص عمر رضي الله عنه على دعم هذه المقاييس حين قال لابن عباس أنشدني لأشعر الناس الذي لا يعضل بين القوافي ولا يتبع حوشي الكلام قال: ومن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال: زهير ابن أبي سلمى[٢٣] ٠وهو الذي جعل ضوابط للشعر وقيد غرض الهجاء ، وعاقب الذين ينسلخون عن مبادئ الإسلام وأوامره ، فحبس الحطيئة لما هجا الزبرقان بن بدر ، وأمر بسجن أبي محجن الثقفي لشربه الخمر[٢٤]، ليأت الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيضع معيارا جديدا يتعلق بالبيئة والزمان والمكان يوم تناظر بحضرته القوم وكان فيهم أبو الأسود الدؤلي ، واحتدم النقاش بين الشعراء كلّ ينتصر لما يراه فقال علي رضي الله عنه حاكما ومنتقدا " كل شعرائكم محسن لو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن وإن يكن أحد أفضلهم كالذي لم يقل رهبة ولا رغبة امرؤ ألقيس بن حجر فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة" [٢٥] ولعمر بن عبد العزيز رؤيته في الشعر فقد روي عنه أنه لما تولى الخلافة توافد عليه الشعراء يرغبون في المديح فقال لمن عنده أمرهم بالانصراف ثم أذن لكثير بن عبد الرحمن ونبهه إلى الصدق في القول[٢٦] وقد تفرقت مثل هذه الروايات في بطون كتب الأخبار والسير والحديث والأدب ، وليس المقصود -هنا - تتبعها ولكنها، لو جمعت لشكلت مادة جيدة بين يدي الناقد لكن عملا من هذا القبيل لم يحصل بعد ليبق المنهج النقدي المعاصر يحوم في إطاره الفردي الذي يختزل هذه الروايات من دون النظر فيها على وفق رؤية منهجية متكاملة٠

ولما كان التأسيس لأية ظاهرة نقدية تتزامن معها أو تسبقها الممارسة الأدبية الفعلية شعرا ونثرا، فقد كتب حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك شعرا نقلوا فيه"أغراض الشعر من الفخر بالذات والقبيلة إلى الاعتزاز العقدي والسياسي، ومن الغضب والهجاء المرتبط بمصالح الذات إلى الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أدب التكسب إلى أدب الانتماء العقدي، ومن المدح بدافع المدح إلى مدح الهدى مقابل الثواب من الله سبحانه وتعالى"[٢٧] وأرفد هؤلاء الشعراء الشعر بمعان وألفاظ جديدة لم يعرفها قاموسه سابقا تتعلق بالجنة والنار، والوعد والوعيد، وأسماء الأنبياء والصالحين ، والأقوام الغابرة وقصصهم، تزامن ذلك كله مع انبثاق رؤية نقدية إسلامية بدت بعض ملامحها في ما روي عن الصحابة والتابعين ، ويمكن أجمال الرؤية النقدية لعهد الصحابة بما يأتي:

- إن موقف الصحابة يعد امتدادا لموقف القرآن الكريم ، والنبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ووظيفته ، وهو موقف متصل ثابت ٠
- تحكم الذوق الفني الذاتي في عملية النقد ، والتركيز على بنية النص اللغوية ، وتركيب الكلام ومطابقة اللفظ للمعنى ، كما في المنقول عن أبي بكر وهذا الموقف قريب من موقف الناقد في العصر الجاهلي من حيث الاعتماد على الذوق الذاتي والنظر إلى البنية اللغوية مع

فارق جوهري يتصل في أن الأحكام النقدية عند الصحابة دائما ما يصحبها التعليل والتبرير .

- يعد النقد عند الصحابة بقيمة الأسلوب ومكانته ، من حيث الجودة والرداءة اعتمادا على الاعتدال في القول والصدق وسهولة الألفاظ ، ووضوح المعاني، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع شعر زهير .
- يجب مراعاة عامل البيئة والزمان في عملية الحكم النقدي والموازنة بين نص وآخر وشاعر وشاعر، وهكذا حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاضل بين الشعراء وفضل امرأ القيس على غيره ، ويعد هذا المعيار تطورا واضحا على مستوى النقد في حينه
- لا تنفصل في هذا الضرب من النقد الأحكام الدينية والأخلاقية والفنية .

٤- **التراث النقدي العربي**:

ربما يظن البعض أن التراث النقدي لا يصلح ان يكون أصلا من أصول الرؤية الإسلامية اعتمادا على آراء دارسيه ونقاده من المستشرقين ومن المتأثرين بهم، الذين يرون أن الدين والأخلاق بقيا بعيدين عن ميدان الأدب والنقد العربي(*) واقتطع هؤلاء أدلة من التراث مبتورة عن إطارها التاريخي والمناخ الذي قيلت فيه، تنسب للأصمعي والقاضي الجرجاني وأبي بكر الصولي متجاوزين الكثير من الأحكام النقدية عند هؤلاء النقاد وغيرهم، التي تثبت رؤيتهم الإسلامية في عملهم النقدي ، فأسهم هذا في ترسيخ نظرة الانفصال بين التراث النقدي و(الإسلامية)، حتى أضحى النقد التراثي – في أعين الكثير منا- مبتور الصلة عن الإسلام ، وكأنهما ضدان لا يجتمعان وخصمان لا يصطلحان.وقد ساد هذا الوهم عند الكثير من دون مراعاة لجملة من الأمور وهي:

- إن التراث النقدي والرؤية الإسلامية متفقان في أغلب مضامينهما ،فالنقاد الأول لم يستبعدوا النظرة الإسلامية عن أحكامهم النقدية ، وكان منهم القاضي والمحدث والفقيه ، ثم إن النقد الأدبي ذاته انبثق من الدرس البلاغي القرآني ومن كتب الإعجاز .
- إن الأحكام النقدية التي استدل بها القائلون بالفصل بين الدين والنقد ، جاءت في معرض الدفاع عن الشعراء بإزاء من اتهموهم بالزندقة والكفر؛ لذا فإن تعميمها وبترها عن سياقها التاريخي والظروف التي قيلت فيها يعد خطأ منهجيا .
- إن هذه الأحكام لم تتجاوز التنظير إلى التطبيق ، وإنها لا تعد شيئا بالقياس مع تأثر أحكام هؤلاء النقاد بالرؤية الإسلامية، فالصولي نفسه مثلا الذي أصبح قوله دليلا للقائلين بفصل الشعر عن العقيدة يقول"...على أنه لا ينبغي لجاد أو ممازح أن يلفظ بلسانه ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز وجل ويتاب من مثله" (٢٨) ومثل هذه الآراء التي تتفق والتصور الإسلامي الصحيح – وهي كثيرة في كتب التراث النقدي- بحاجة إلى جهد وعناية للكشف عنها وإبرازها؛ لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ولا يتم ذلك إلا في ضوء قراءة الموروث النقدي العربي قراءة ثانية على وفق منهج ورؤية إسلامية .

- في التراث النقدي خير كثير وزاد وفير لا يخلو من دخن ،فهو بحاجة إلى "تصفية وتنقية " لتمييز الرؤية الإسلامية وتنقيتها من(الشوائب الفلسفية) والكلامية التي علقت به ، وهذه الخطوة مهمة من جانبين : الجانب الأول- لكي يستمد النقد الإسلامي معطياته النظرية والتطبيقية من هذا النتاج الهائل ٠ والثاني: يتيح قراءة الموروث النقدي قراءة صحيحة إذ إن هذا الموروث قرأ قراءة مادية وبمناهج غربية دخيلة وضع أصولها المستشرقون
- التراث النقدي في أحواله جميعا هو جهد إنساني يحتمل الصواب والخطأ ، فلا بأس أن نأخذ منه ما يتفق مع الثوابت الإسلامية، وندع ما يريبنا إلى ما لا يريبنا، أو يتصادم مع أصل من أصول ديننا ،وذلك عوض التسول على أعتاب المنجز النقدي الغربي٠ وان عملا مثل هذا سوف يبرز الجانب المشرق من التراث ، ويجعل الجهد النقدي العربي والإسلامي متصل الحلقات واضح القسمات ، يفضي إلى انجاز نظرية نقدية كاملة ، في وقت يعاني فيه نقدنا من الذاتية والتقليد ٠
- يعد التراث النقدي العربي – المتشكل على وفق الرؤية الإسلامية – أصلا متينا من أصول النقد الإسلامي المقترح إذا ما دُرس هذا التراث دراسة موضوعية على وفق الضوابط التي تم تحديدها سابقا ٠

٥-اصول أخرى:

أ-جهود الإسلاميين ومقالاتهم:

كثر بعد العقد الخامس من القرن الميلادي الماضي النتاج الإسلامي ، وتنوعت ميادينه وموضوعاته ، فشطر منه تناول التيارات والمفاهيم الوافدة وأهدافها وأثارها السلبية على واقعنا المعاصر مثل الاستشراق والتغريب والتجديد والحداثة والمعاصرة٠وشطر ثانٍ دارت جهوده حول محور الأدب الإسلامي تعريفا ووظيفة وخصائص ٠ والشطر الأخير خصص للنقد الإسلامي مبينا الأسس الفكرية والجمالية للعمل الأدبي ونقده ، وأصول النقد الإسلامي وركائزه ومعايير الحكم والتصنيف ، وقدم هذا الشطر نتائج مهمة يمكن أن تكون نبعا مهما يرفد الرؤية الإسلامية النقدية ، بيد أنه غالبا ما كان يصدر عن رؤية فردية خاضعة لردود الأفعال تجاه ما يطرح من غثاء على الساحة الأدبية العربية ، كما إن هذا الجهد النقدي المخلص كان يفتقد إلى المرجعية الشرعية والمرجعية الأدبية المتخصصة٠٠٠في جو من الحماس الفردي والتصور المحدود الذي منعهم من الالتفات كثيرا إلى المصادر الشرعية والتراثية في عملية استخراج المنهج النقدي الإسلامي [٢٩] وعلى الرغم من هذه الملاحظات فإن هذه الجهود جهود متميزة مباركة، وعتبة مهمة لا يمكن تجاوزها لمن يريد تأصيل رؤية نقدية إسلامية ؛ لأنها أينعت ثمارا طيبة منها:
إنها قدمت حلاً لما يمر به النقد عامة من أزمة التقليد والتبعية للمناهج الغربية، اذ حاولت هذه الجهود بيان سلبيات المناهج الغربية ومذاهبها والكشف عن مرجعياتها العقدية والفلسفية التي

تتصادم مع مبادئ الدين الإسلامي ، ثم أنها قدمت فهما جديدا لوظيفة النقد والناقد واثرهما في العمل الأدبي، وناقشت قضايا مهمة تتعلق بالأدب والدين والأخلاق ٠

ب-النظريات التي تتوافق مع الرؤية الإسلامية:

إن موقف الرؤية الإسلامية من النظريات والمناهج النقدية الغربية ينبغي أن يكون – شأنه شأن موقفه من الفكر الغربي عامة – موقف اصطفاء واختيار ، أن يستفيد منها لا أن يقلدها ، أن يعرضها على ميزان العقيدة واللغة والذوق ، فما اتفق معها أخذه ، وما تناقض معه رفضه ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المناهج بعض ما يصلح لنا ، وفيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر، ويتناقض مع تصوراتنا الإسلامية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون [(٣٠)،(٣١)،(٣٢)] وعلى وفق هذه الشروط يمكن أن يغذي المنجز النقدي الغربي درسنا النقدي بمواد جديدة تدفع عنه الجمود والعزلة من دون خوف ، فنحن أمة تحاورت مع مختلف الحضارات عبر العصور المختلفة سواء بالخطاب الديني أم الفلسفي ام الجمالي[(*)]، والرؤية الإسلامية بموقفها هذا "تحدد موقفا ايجابيا من المناهج الفنية والأدبية موقفا متفتحا ينسجم مع خصائص النفس الإنسانية التواقة دوما إلى التطور والتجديد ،وهو بتفتحه ذلك يدين ظاهرة التقليد على المستويين الشرعي والفني"[(٣٣)] ويفتح باب الاستفادة من العلوم المختلفة على مستوى المنهج والموضوع ومن أي مكان يشاء بشرط "أن تنصهر هذه المواد المسترفدة من بوتقة ذاته ،فتمتزج بها وتأخذ خصائصها ، ومن ثم تتشكل في بؤرة الذات تشكلا خاصا يمنحها كيانا جديدا نابضا بالروح الإسلامية الصافية"[(٣٤)] مع مراعاة قضية مهمة هي: إن المناهج النقدية الغربية معظمها ذات جذور عقدية أو فلسفية تتصادم والعقيدة الإسلامية، ولكن هذا لا يعني مصادرتها وعزلها، لأن هذه المنهجية ستؤدي- حسب رأي الدكتور عماد الدين خليل- : إلى خطأ في الموقف من التعامل معها في حالتي الرفض والقبول ٠٠٠فمن هذه الطبقات ما يرتبط ارتباطا وثيقا باصوله العقدية ، لكن هذا الارتباط لا يمسها جميعا[(٣٥)] فلا بأس أن يكون المنجز النقدي الغربي رافدا من الروافد الداعمة للمنهج النقدي الإسلامي بشروط حضور المعيار الإسلامي، والتشديد على أن تكون تلك المناهج الوافدة غير متعارضة مع المنظور الإسلامي، وغير ذات صلة بجذور عقدية ٠ولا تتم عملية توظيف الجهود النقدية الوافدة - مع التحفظات المذكورة – إلا على عين نخبة من أصحاب الفكر والعقيدة والمختصين بشؤون الأدب ونقده ٠

المفاهيم النقدية في ضوء الرؤية الإسلامية (البعد التطبيقي):

هذه جملة من المفاهيم والقضايا النقدية القديمة والجديدة نحاول النظر فيها في ضوء الرؤية الإسلامية التي تم تحديد أصولها مسبقا بـ(القرآن الكريم – والسنة النبوية –وآثار الصحابة والتابعين- والتراث النقدي العربي-مع الإفادة من الجهود النقدية الإسلامية المعاصرة والنظريات الوافدة التي تتفق والتصور الإسلامي) وقد اكتفت هذه القراءة الجديدة بقسم محدد من القضايا والمفاهيم النقدية منها:الموقف من المذاهب الغربية ، والذاتية والموضوعية في النقد ، والنظرية النقدية والدين والأخلاق والأدب ، والتراث النقدي ، وتاريخ الأدب ونقده ، ولغة النقد٠وتركت قسما آخر من

المفاهيم النقدية لدراسات لاحقة إن شاء الله تعالى ،منها:السرقات الأدبية ، والصدق والمبالغة ، والفن للفن والفن للمجتمع ، واللفظ والمعنى ، والمناهج النقدية السياقية والنصية والجمال الفني ، والأجناس الأدبية الحديثة كالرواية والمسرحية. والرؤية الإسلامية لها مواقف محددة واضحة من هذه القضايا مجتمعة وهي بذلك تطرح منهجا نقديا جديدا ، ورؤية نقدية سليمة لسلامة المصادر التي تنطلق منها هذه الرؤية، رافضة لكل انواع التبعية والتقليد للمناهج الغربية لاسيما تلك التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية .

١- المذاهب الغربية:

لقد تأثر النقد العربي الحديث تأثرا بالغا بالنقد الغربي ، منذ أن طبق صاحبا الديوان العقاد والمازني بعض القواعد الرومانسية على شعر شوقي ، فكانا يرجعان في نقدهما إلى هازليت وماكوكي وارنولد ووشاستري ، فأغلب آراء العقاد مأخوذة من محاضرات هازليت في الشعر الانكليزي ، ورجع العقاد في مذهبه النقدي النفسي أيضا إلى ريتشاردز في كتابه مبادئ النقد الأدبي ،وذهب فيه إلى تقرير الصلة بين مسائل النقد الأدبي وعلم النفس[٣٦]. وقد اتضح هذا التأثر في مرحلة مبكرة سبقت محاولة العقاد والمازني، إذ ظهرت دراسات نقدية وأعمال تطبيقية ترتبط بالمناهج النقدية الغربية صراحة وضمنا ،لاسيما بعد تأسيس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ واستدعاء المستشرقين للتدريس فيها ، فعرف النقد العربي المنهج الاجتماعي الذي تبلور تطبيقيا على يد طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء المعري، وحديث الأربعاء وقد تأثر كثيرا بأستاذه كارلو نالينو وبكدور كايم ، وقد سار على منواله العقاد في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) وعُرف أيضا المنهج النفسي على يد مصطفى سويف، ومحمد النويهي ، وعز الدين إسماعيل، وعُرف المنهج الجمالي على يد روز غريب و ميخائيل نعيمة وسهير القلماوي، والمنهج الأيدلوجي على يد سلامة موسى ومحمود العالم وعبد العظيم أنيس ولويس عوض وزكي نجيب محمود .[٣٧] " ومع ظهور النظريات الأيدلوجية الحديثة كالنظرية الاشتراكية والشيوعية والماركسية ولد المنهج المادي الجدلي والمنهج الإيديولوجي الاشتراكي في الساحة النقدية العربية، مع مجموعة من النقاد كمحمد مندور وحسين مروة ومحمد برادة وإدريس الناقوري .ومع بداية الستينيات قفزت ظاهرة المثاقفة والترجمة والاطلاع على المناهج الغربية المعاصرة كالبنيوية اللسانية مع حسين الوادي وعبد السلام المسدي وصلاح فضل وكمال أبو ديب وسعيد يقطين، والسيميائية مع محمد مفتاح وسامي سويدان ، وعبد الفتاح كليطو، والاسلوبية مع محمد الهادي الطرابلسي وعبد السلام المسدي ."[٣٨]

وثقافة بعض النقاد الرواد مستمدة من مصدرين غربي وعربي ، فكتابات العقاد النقدية مثلا تنم عن وعي بالمنجز النقدي الغربي وكيفية التعامل معه ، والحذر من التقليد الأعمى للمذاهب الغربية ، ففي الوقت الذي يرى في المذاهب الغربية (بعض السخافة) فأنه يرى –أيضا- " أن لا تهمل وأن لا يلتفت إليها ...ولكنها خليقة أن تدرس كما تدرس عوارض الأمراض والعلل والنكبات، ولكن البون بعيد جدا بين دراستها لهذا الغرض ودراستها للإقتداء بها ، واعتبارها من

مدارس الفن والأدب، ونماذج الذوق والجمال" [٣٩] . وبفعل التغريب وفي ظل الواقع المنفتح للمعرفة ، وتصاعد وتيرة الغزو الفكري، وكثرة مقلديه، وقع ما حذر منه العقاد وغيره، وأصبح نقدنا كرجع الصدى للنقد الغربي الوافد ، وتولى كبر هذا الأمر بعض الأدباء والنقاد المنبهرين بثقافة الآخر، تحت شعار تجديد الأدب وتحديثه، وحتما في ظل هذا المعطى حصلت –بقدر ما- قطيعة معرفية بين الأدب والنقد الحديث وبين جذورهما العربية والإسلامية ، وهما يمثلان ركيزة مهمة من الركائز التي تشكل هوية الأمة .[٤٠] ومما عمق هذه الهوة جهل أنصار التغريب بالتراث ، وشكهم في قوة الأمة الروحية والفكرية ، فوقفوا كالأقزام تجاه المارد العملاق مأسورين بما وصل إليه الغرب من تقدم مادي وصناعي، فأرادوا إتباع السبل التي اتخذوها، ومحاكاة الوسائل التي استعملوها، بوصفها ترياقا مجربا ودواءَ صالحا يمكن إعادته واستنساخه متجاهلين - عن قصد أو من دون قصد - الخصوصية الثقافية والفكرية والاجتماعية والروحية للأمة ، فاضطربت عندهم المفاهيم وطاشت بهم الموازين ، وانقلبت الأمور، فصار التخلص من كل ما يمت إلى التراث والدين بصلة ، والتحرر من القيم والأخلاق والمثل هما البديل لإعادة الحرية المسلوبة في زعمهم ، والتجاوز على الثوابت والمقدسات والتمرد عليها خطوة مهمة باتجاه التقدم والمعرفة. ولم يكن المجال النقدي بمنأى عن هذه الملابسات بل لعله أكثرها تأثرا ، وأشدها اضطرابا ؛ لأن الباب فيه مفتوح لاجتهادات فردية لا ضابط لها، هذا بغض النظر عن النظريات الكثيرة المتقابلة التي تتخذ طابعا مذهبيا ومعرفيا، فلم تفلح هذه الجهود في صياغة نظرية متكاملة على مستوى الفكر أو الأدب.

واذا ما دلفنا إلى صورة الخطاب النقدي وجدناه نقدا مأزوما نبع من ثقافة مأزومة، فعلى الرغم الضجيج والثرثرة الإعلامية التي كانت تثار حول أصحابه ممن امتلأت مناهجهم النقدية بروح النخبة وتمايزت بشعور الاستعلاء إلا أنهم كانوا يكتبون نقدا يتحير فيه المتلقي ، فلا يستطيع رده إلى علم منضبط الأصول والإجراءات ، ولا يستطيع رده إلى مذهب نقدي بعينه نتيجة لانقطاع الصلة بين الموقف النقدي والموقف الاجتماعي ، والشاهد على هذا التخبط والاضطراب والغرابة الخطاب النقدي الجديد (نقد الحداثة) [٤١]، [٤٢] .

والأسئلة التي تستثير الذاكرة هنا :

لماذا لم نفلح في بلورة تصور نقدي واضح الملامح على الرغم من تمَثلنا للمناهج النقدية الغربية؟ ولاسيما أنها أثبتت جدواها في بيئتها الأصلية.

هل يعاني نقدنا المعاصر من أزمة على مستوى هويته وخصوصيته ؟

هل حقق الناقد المتأثر بالغرب ونظرياته طموحاته على مستوى التنظير والتطبيق؟

هل يصلح استنساخ المذاهب النقدية الوافدة وتطبيقها على واقعنا النقدي العربي؟

ما حدود الانتفاع من المنجز النقدي الغربي؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد أن نتعرف بماهية هذه المناهج والمذاهب – بإيجاز- والظروف التي نشأت فيها ، ونقاط ضعفها ومواطن قوتها، لننتفع منها في توسيع آفاق بصيرتنا ونزيد على رصيدنا النقدي جهدا نقديا ضروريا ، ولنضمن لنقدنا سمة التجدد والبقاء ، ومواكبة التطور، في

الوقت الذي نحصن نقدنا أيضا من الآثار الضالة والمنحرفة والتصورات الخاطئة التي تصادم معتقداتنا وقيمنا وتراثنا.

يكاد يجمع النقاد على أن المذاهب الأدبية تعني: "الاتجاه الذي تسلكه مجموعة كبيرة من الأدباء في عملية الإبداع الفني، فتأتي كتاباتهم متشابهة في الخصائص والسمات العامة...وتتسم المذاهب الأدبية بأنها وليدة ظروف معينة، وخلاصة عوامل محيطة اجتماعية وثقافية" (٤٣) وهي تعني عند العلماء : "مجموعة من الآراء والنظريات العلمية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة متجانسة "(٤٤) أوهي ":اتجاه في التعبير الأدبي يتميز بصفات خاصة ويتجلى في مظهر واضح من التطور الفكري وهي وليدة ما يضطرب في عصر بعينه من تغيرات وتحولات في أوضاع المجتمع وطابع الحياة " (٤٥) وهذه المذاهب الأدبية الغربية ليست نشاطا معرفيا محايدا ، وهي ليست أفكاراً ونظريات في الأدب واللغة والنقد فحسب، ولكنها تمثل فلسفات فكرية ، وتصورات عقدية عن الكون والإنسان والحياة (٤٦) وارتبط ظهورها بعوامل اجتماعية وفكرية واقتصادية وحيثيات بيئية شجعتها على الاتساع والانتشار والتعدد في حدود زمنية واطر مكانية ، إذ هزت أوربا في القرن الخامس عشر نهضة شاملة - بعد قرون من السبات والجمود- فرضت على الناس أن يقتبسوا من الأدبين الإغريقي والروماني مقاييسهما الفنية وطرائقهما في التعبير والإنشاء، هذا فضلا عن تغيير البنية الاجتماعية، وظهور طبقة جديدة تتسم بالاستقلال في أنظمتها سُميت بالطبقة الارستقراطية(٤٧)، التي آمنت بالعقل وأسندت اليه مهمة التوجيه والإشراف والحكم في ميادين الحياة كلها ،ومما زاد في تثبيت جذر هذا الاعتقاد ظهور فلسفة (كانت) المثالية التي تعد امتدادا لفلسفة أفلاطون. وكرد فعل لتطرف الكلاسيكية نتيجة لتبنيها الجانب العقلي والتزامها المثالية والتقليد، ظهرت الرومانسية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، فدعت إلى إبعاد المقاييس العقلية ومقولاتها عن حقل الأدب، والعناية بتصوير الطبيعة واستلهامها والثورة على التقاليد السائدة، كما أطلقت العنان للذات من دون أن تجعل لذلك ضوابط ومعايير، ورفعت شعار الفن للفن من دون أن تجعل للأدب والحياة رسالة تذكر وهدفا ينشد ، فتطرفت هي الأخرى لتفسح المجال للمذهب الواقعي المدعوم بتيارات فلسفية جديدة أسهمت في تغيير مفهوم الأدب والفن ونادت بضرورة رفض المعايير القديمة والإطاحة بالنظام الطبقي وإحلال النظام الاجتماعي الاشتراكي محلها، واتجهت صوب الموضوعية ورفضت الموقف الفردي الذاتي ، ساعدها في ذلك المنهج التجريبي والتقدم العلمي الذي يرتكز على الموضوعية والواقعية ويرفض التفسيرات المثالية غير الواقعية ، فكان لا بد للأدب أن يتأثر بهذه التصورات والتفسيرات.(٤٨) وانقسمت الواقعية على واقعيات متعددة - النقدية والاشتراكية - لكنها في عمومها لم تثبت بإزاء موجات النقد المتواصلة لكثرة المؤاخذات الموجهة إليها ومنها: اعتمادها المضمون من دون الشكل، وفرضها لهذا المضمون بصورة قسرية تحت مسمى الالتزام مما قتل روح الإبداع ، وشل الحركة الفنية الأصيلة ، وكبت الدوافع الذاتية وحول الأدب إلى مادة كتابية جافة لا روح فيها ، وصير الأديب عالما يعنى بعلم الاجتماع وشؤون السياسة .وقد نفى الأدب الواقعي في أغلب أشكاله القضايا الروحية والعقائدية المتعلقة بالذات الإلهية والغاية من بعث الأنبياء والرسل ؛ لأنها لا تنسجم مع الفلسفة

الواقعية التي ترفض القيم والمثل ، والأخلاق كونها لا تملك رصيدا من الإدراك الحسي الواقعي ،بل راح المذهب الواقعي يسفه مثل هذه التصورات ، ويحملها مسؤولية التخلف العلمي والفكري، ويدعو صراحة إلى هدم هذه العوائق والحواجز ؛ ليتحول العالم على يد الواقعية إلى كتلة من المادة،ويتحول الإنسان إلى آلة منزوعة الحس والروح والخلق والدين(٤٩) ، أُقحم في حروب عالمية زعزعت قناعاته بالواقعية وما تدعو إليه ، فكانت الساحة الفكرية مفتوحة اتجاه مذهب جديد أفاد كثيرا من منجزات المذهب الرومانسي ألا وهو المذهب الرمزي الذي تأثر بمجموعة من الدواعي النفسية أبرزها حب الإغراب والتعقيد من اجل التعقيد، والخروج من كل طرح واقعي قاصد، وكراهة الوضوح والبساطة ، وقد يكون جنوحها هذا هو الذي أجهز عليها ودك عروشها ؛ لتفسح المجال لمذاهب أدبية أخرى بالظهور كالمذهب السريالي الذي يعد ثورة تحاول تقويض دعائم المذاهب السابقة كلها بوصفها انعكاسا للواقع – الحالي- السيئ - ؛ لذا فهي تنشئ أشكالا ونماذج جديدة لا تستند إلى قواعد أو أصول ٠ وهي بهذه الدعوة تنادي الى التحرر المطلق من كل القيود والرفض اللامشروط لموازين الناس وأحكامهم ومقدساتهم ، وللفنان أن يعبر عن عقله الباطني من دون تحفظ غير مبال بما يكون فلا اعتبار لما كان متواضعا عليه من قبل للتمييز بين خطأ وصواب بين حلم ويقظة بين عقل وجنون، ولا قيمة للتناسق في إخراج العمل الفني أيضا (٥٠)، (٥١)، (٥٢) ولا قيمة للقيم والثوابت والأخلاق والعقائد ٠ هذا وقد ارتبطت بهذه المذاهب الأدبية الكبرى فروع ملحقة بها مثل الماركسية والليبرالية والوضعية والوجودية والبنيوية والتفكيكية والسيميائية٠ (٥٣)

بعد هذا العرض الموجز للمذاهب الأدبية الغربية يمكن أن نقرر مجموعة من الحقائق فيما يتصل بالمذاهب الغربية وتأثيرها في نقدنا الأدبي الحديث وعلى النحو الآتي:

أ- إن المذاهب الأدبية الغربية تتصل اتصالا جذريا بالمذاهب الفكرية الاعتقادية والايدولوجيات ، والفلسفات ذات المفاهيم الفكرية الوثنية أو الإلحادية أو الوضعية ، وهي في مجملها تناقض العقيدة الإسلامية ؛ لذا لا يمكن التسليم بكل ما تطرحه من دون تمحيص .

ب- إن التأثر بالمذاهب الأدبية الغربية ، والاحتكاك بالفكر الغربي لم يكن سلبيا كله - على مستوى الأدب ونقده - إذ تعرف أدبنا باجناس أدبية جديدة نشأت مع حركة النهضة الأوربية، أو تطورت في سياقها ، تتمثل في الرواية والمسرحية النثرية والشعرية والمقالة والسيرة الذاتية، وأدب الأطفال والأدب المقارن (٥٤)

أما على مستوى الخطاب النقدي المتأثر بالمناهج الغربية ، فلم يكن شرا مستطيرا في عمومه ، بل هناك محاولات محدودة استطاعت أن تتجاوز محنة التبعية والتقليد الأعمى ، لكن هذه المحاولات لم تستطع على مستوى التنظير والممارسة أن تقدم تصورا نقديا موحدا واضح الملامح يحفظ لنا شخصيتنا وهويتنا الثقافية والفكرية ٠أما محاولة البعض التهوين من شأن هذه الأزمة فلا مسوغ له؛ لان الأزمة ليست أزمة مصطلح أو ترجمة - كما يظن البعض- بل هي أزمة واقعين ثقافيين وحضارتين مختلفتين أزمة فكر بالدرجة الأولى ٠

ت- أدى تقليد المذاهب الأدبية الغربية إلى غياب المنهج السليم والرؤية الصائبة ، فالمتأثرون بالريح الغربية بأشكالها كافة وتياراتها ليس لهم أصول محددة ، أو مدارس ثابتة [٥٥] ٠وتأسيسا على هذا الحكم فإن ساحتنا الأدبية والنقدية لم تعرف إلى الآن مذهبا أدبيا أو منهجا نقديا أصيلا يعبر عن هويتنا ويتفق ومقومات ديننا وحضارتنا؛ لتبقى منظومتنا الفكرية والأدبية والنقدية الحديثة تعاني من شرور التبعية وآفات التقليد الأعمى ٠

ث- " إن موقف الأدب العربي ونقده من هذه المذاهب الغربية ينبغي أن يكون – شأن موقفه من الفكر الغربي على نحوعام – موقف اصطفاء واختيار ، أن يستفيد منها لا أن يقلدها ، أن يعرضها على ميزان عقيدته ولغته وذوقه ، فما اتفق معها أخذه ، وما تناقض معها رفضه ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المذاهب بعض ما يصلح لنا ، ولكن فيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر ، ويتناقض مع تصوراتنا العقدية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون " [٥٦]، [٥٧]، [٥٨] .

ج- إن المذاهب الأدبية الغربية نتاج ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية وفكرية مرت بها أوربا ، ولا يمكن بأية حال من الأحوال اجتثاثها من منظومتها المعرفية وأسسها الفكرية وأعرافها التاريخية وغرسها في رحم الثقافة العربية بدعوى المثاقفة والحوار وعالمية المعرفة ،ولا يمكن إسقاط الواقع الغربي بكل ملابساته على الواقع العربي والإسلامي ؛ للتباين الحاصل بين الواقعين على أكثر من صعيد ،وإن أية محاولة لاستيراد هذه المذاهب، والتعسف في استعمالها على مستوى التنظير والتطبيق يعد هدرا للوقت وتضييعا للجهد، وإلغاء لهوية الأمة وتمييعا لخصوصيتها وذاتها ٠ولن يفلح التقليد الأعمى في بلورة منجز نقدي عربي مستقل مميز-باستثناء بعض المحاولات اليتيمة- وهذا الحكم ليس حدسا أو تخمينا فالمسار التاريخي يصدقه ، ويشهد له "فمنذ الخمسينيات بدأ اجتلاب المذاهب الأدبية والنقدية من دون تمثلها أو هضمها كالوجودية والماركسية والاشتراكية ،وحوكم كثير من نصوص الأدب العربي على وفق معايير نقدية خارجية بتأثير هذه التبعية"[٥٩] ولم يكن عقد السبعينيات والثمانينيات أحسن حالا من سابقها إذ استجدت ظواهر أخرى للتبعية النقدية كان من أهمها :"الارتهان المطلق للمرجعية الغربية في نقل المذاهب النقدية ، و غالبا ما يتم نقلها بعد تراجعها في الغرب كما هي الحال مع البنيوية أو من دون هضمها أو بيان صلاحيتها كم هو الشأن مع الشكلانية والشعرية والسردية والسيمائية والعلائقية والتفكيكية "[٦٠] وصار المعيار الأمثل للناقد أن يحذو حذو النقد الغربي ، ويقتفي منهج جينيت وغريماس وتودوروف ودريدا وهارتمان أو لا يكتب نقدا ، ناهيك عن تحول النقد إلى جداول إحصائية وأرقام رياضية ومعادلات حسابية وأشكال هندسية ، وكتابات ملغزة أشبه بالمتاهة والتجريب الذي لا طائل وراءه وهذا ليس طعنا في هؤلاء النقاد ولا في المناهج التي تبنوها ، ولكنه توصيف للتبعية السلبية التي تبناها المقلدون ٠

٢- الذاتية والموضوعية

يستمد النقد حياته من رافدين" الموضوعية و الذاتية " فمن العبث أن نفقد مقوماتنا الذاتية ، ومعاييرنا المستقلة ، وقيمنا وثوابتنا ، ونذوب في العمل الذي ينتقده ومن العبث – أيضا – أن نفتقر للموضوعية في تقييم النصوص والحكم لها او عليها.والنقد على وفق ذلك "مزيج عجيب من صرامة الأرقام ، وهيام الروح العاشقة وتشبثها بالمحبوب ...النقد هو موازنة ما نقرأه أو نراه أو نسمعه من معطيات الفن والأدب وبين الارتماء في الأحضان بخفة مجنونة ننسى معها كياننا ونضيع ...ليس النقد موتا ولا ضياعا ...لكنه – باختصار- بعثا وتماسكا، ذاتا وموضوعا ، دهشة وإمعانا تأملا وإعجابا تحيزا وحيادا"[٦١] والجهود النقدية لا تستطيع أن تأتي أكلها بغير هذه الوسطية المريحة العادلة وما نلحظه من أزمة نقدية ، فمردها إلى انحياز هذا النقد إلى أحد الطرفين على حساب الآخر.

ويتسم نقدنا المعاصر بغلبة الذاتية ؛لأسباب متعددة منها : الرغبة في النيل من الخصوم الذين لم يستطيعوا أن يبلغوا مبلغهم من القوة والقدرة على الإبداع ، ويحققوا لأنفسهم ما حققوه من أسباب الشهرة وذيوع الصيت في بيئات الأدب وغيرها من البيئات السياسية والاجتماعية ،وصار النقد على وفق هذا الافتراض "صورة للذاتية في أبشع صورها ،وأشنع حالاتها ، وأصبحت المجلات والمجالس الأدبية ، بل والكتب أيضا معرضا للهجاء المقذع والسباب الجارح الذي ينال من الأشخاص قبل أن يصل إلى موضوع النقد ، وهو أعمالهم الأدبية التي ينبغي أن تكون محور هذا النقد ...ويرى أثر ذلك في الكثير من المعارك التي شنتها أقلام الأدباء والنقاد ونال بها بعضهم من بعض "[٦٢] كالمعارك التي دارت بين عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي صاحب كتاب (على السفود) وهو مجموعة مقالات نقدية قاسية على العقاد وصفه بها بالشاعر "المراحيضي" من ذلك قوله "وفي ديوان هذا المراحيضي ابيات......"[٦٣] هذا فضلا عن اتهامه بالسرقة والسطو.وكذلك تورط العقاد وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني ومحمد حسين هيكل في الحط من شاعرية أمير الشعراء احمد شوقي ونفوا عنه سمة الإبداع والشاعرية جملة وتفصيلا ، وأرى في ذلك تحاملا على الشاعر باعثه ذاتي خالص ، وهو عار من الموضوعية، وخال من الإنصاف ، وهو –أيضا- سلاح للنيل من الخصوم والتشهير بهم بغية تحقيق الشهرة ولفت الأنظار أو الظهور بمظهر الجدة والحداثة ، وهو نتيجة للتأثر بالمناهج النقدية الغربية ورفض للقديم لقدمه فحسب ، وأيا كان الباعث فإن رائحة الذاتية السلبية ملأت الجو النقدي العربي المعاصر، لتشكل مع غيرها أزمة خانقة كادت تودي به.وكما اتخذت الذاتية في النقد المعاصر سلاحا للنيل من الخصوم، والتشهير بهم والحط من أقدارهم اتخذت الذاتية للتنويه بالأنصار والأولياء والاشادة بهم ، ومن ثم "تخلى النقد عن منهجه في التقويم والتمييز وغايته من الإصابة في الأحكام، وأصبح مدحا أو قدحا أو مبالغة في الثناء والإطراء أو إسرافا في التشهير والتجريح."[٦٤] وقد صور الشاعر المعاصر مختار الوكيل هذه الذاتية وأثرها في النقد الأدبي بقوله عن النقد المعاصر: "انه ما يزال متأخرا فلا قواعد مضبوطة يسير على هديها ولا رغبة في خدمة

الأدب خدمة بريئة من الأغراض ٠٠٠وقد قرأنا كتبا في النقد ليست من النقد الأدبي في كثير أو قليل، وإنما هي معارض للسخائم والشتائم والأحقاد التي يجب على الناقد الأدبي الصحيح أن يترفع عنها "[٦٥] وإن قسما من نقادنا أصيب بداء العظمة والعجب وظن نفسه عالما وغيره من الجهال،عارفا وسواه حمقى، فراح ينتقص منهم ومما كتبوه، وتحول النقد إلى ردود أفعال وانفعالات وأمزجة مغلفة بالذاتية والأنانية ،وسجال وشجارات مما افقد الثقة في نفوس القراء و الأدباء وانعزل على اثر ذلك في دائرة ضيقة ، وقل تأثيره ، وعاش أزمة حقيقية دعت الكثير إلى بحث أسبابها تحت عنوان نقد النقد كما فعل العقاد وفؤاد دوارة وعبد القادر القط٠

ولا بد أن نشير هنا إلى قضيتين: الأولى- إن الذاتية مع اختلاف في دواعيها وأشكالها ، لم تكن وقفا على النقد المعاصر بل هي جزء من أزمة النقد العربي على نحو عام اذا ما اخذنا بالحسبان تلك الأحكام النقدية المتناقضة إزاء الشعراء القدماء ، التي لا تخلو من تعصب وهوى كتلك الأقاويل التي أثيرت حول المتنبي وشعره ٠ولن يتعافى نقدنا من هذه الذاتية السلبية إلا إذا ركن إلى موضوعية الإسلام واستمد منهجه من اصوله الأصلية (الكتاب والسنة) قال تعالى ((٠٠٠إذا قلتم فاعدلوا٠٠٠))الأنعام/١٥٢

أما القضية الثانية :- فتتعلق بتوصيف الذاتية والمقدار المقبول منها في عملية النقد ، إذ لا يستطيع الناقد - مهما وصف بالموضوعية- أن يعزل نفسه عن التأثر بالنص و"التأثيرية مبدأ من المبادئ المعترف بها في الحكم والتقدير٠٠وهي ثمرة التفاعل بين الأعمال والأقوال "[٦٦] والتأثرية على وفق هذا المفهوم تأثرية مشروطة مقيدة ناضجة، وهي تتباين عن الذاتية التي تصدر عن حكم مسبق نتيجة لهوٍ وتعصب بعيدين عن القراءة الواعية الايجابية التي أصبحت سمة كثير من نقدنا المعاصر٠

٣- الدين والأخلاق والأدب

تمر أمتنا الإسلامية بتحد خطير يتمثل بإقصاء الدين الإسلامي عن الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفكري، بل إقصائه من كل ميادين الحياة وإبقائه حبيس المساجد ودور العبادة ،في أحسن أحواله وأقصى درجاته ، وفي ظل هذا الواقع – الذي عملت علية أياد خارجية وداخلية- عاش أدبنا المعاصر ونقده أزمة فكرية أدت به إلى شبه الانهيار أسلوبا ومعنى؛ لأنه انعزل عن العقيدة وانسلخ من قيم الدين ، وأصبح خليطا من أفكار الغرب والشرق٠ واسهم في رسم هذا المسار بعض دارسي الأدب ونقاده من المعاصرين الذين توهموا بظواهر بعض النصوص التراثية فيما يتعلق بموقف بعض النقاد القدماء من قضية الدين والأدب كموقف الأصمعي وأبي بكر ألصولي والقاضي الجرجاني فجاءت أحكامهم النقدية عشوائية ومشوشة تبعا لما توهموه من ظواهر هذه النصوص[*] ، كحكم الدكتور عز الدين إسماعيل الذي يقول:"٠٠٠والملاحظة التي وقف عندها النقد العربي ، وأصر في كل حالة على موقفه هي أن الفن القولي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق ، وكأن الأهداف الدينية والأخلاقية لا تأتلف وطبيعته ، وكأن استهداف أوجه الخير يضعفه كما قال الأصمعي[٦٧] وأن فترة ظهور الاسلام فترة عارضة في حياة هذا الشعر ما لبث أن تحول

بعدها إلى مجراه الأول واتجاهه القديم ، فترك الدين وترك الأخلاق ، ترك لهما ميدانهما ووقف بعيدا لا يكاد يتأثر بهما ٠٠٠٠ولم يكن النقاد منعزلين عن الشعراء فوقفوا بجانبهم في موقفهم ، ولم يتخذوا من الدين أو الأخلاق أساسا يرفعون به شاعرا ويخفضون شاعرا أخر ، واستبعدوا الخيرية من ميدان الحكم النقدي"[٦٨] ويرى أيضا : أن الإسلام لم يكن له أي تأثير ايجابي على الأدب ونقده ويقصر تأثيره على الميدان الشكلي والبلاغي [٦٩] ٠والى مثل هذا الرأي يذهب محيي الدين صبحي وأكثر النقاد المعاصرين [٧٠] إتباعا لما فهموه من ظواهر النصوص التراثية النقدية عن قصد أو بدون قصد، أو تأثرا بالمذاهب النقدية الغربية ونظرتها إلى قضية الدين والأدب التي تعتمد أساسا على الفصل التام بين الأدب والدين وبين الأديب ومعتقده وبين الدين والحياة، وتجلى ذلك في الثورة الفكرية الغربية على الكنيسة وتصوراتها٠واضحى النقد المعاصر يُغيب من أحكامه النقدية - تبعا لمنطلقاته الفكرية الغربية – كل حكم يتعرض للشاعر من جهة الدين والأخلاق، فلا تثريب على الشاعر في ما يصدر عنه من هذا الباب، وربما هذا ما أغرى بعض شعراء الحداثة على التجاوز على الذات الإلهية، وتقويض القيم والأخلاق حتى صارت هذه سمة بارزة في شعرهم ٠ أما النقد المتمسك بالثوابت الدينية والأخلاقية فإنه يغرد خارج سرب النقاد المتميزين في منظور الفكر النقدي المعاصر، فقضية العلاقة بين الشعر والدين والأخلاق صارت بحسب رأيهم" سلاحا يشهره غير النقاد في وجه الشعراء، وأما النقاد فقد التزموا هذا الفصل على طول الخط" [٧١] وقد استدل النقاد المعاصرون على دعواهم هذه بأدلة من التراث النقدي العربي يفهم منها في حالة النظرة الجزئية المبتورة عن الإطار التاريخي بحتمية الفصل بين الدين والأدب ونقده٠

ويبدو أن القراءة غير المتأنية ، والانقياد إلى الأحكام الاستشراقية المضللة ونظرتها المتحاملة هي المسؤولة عن تسلل فكرة عزل الدين عن ميدان الأدب ونقده وسائر ميادين الحياة الأخرى ، إذ لم " يبتعد تراثنا النقدي عن العقيدة الإسلامية وإن نقادنا الأوائل – كان فيهم المحدث والقارئ والقاضي – صوروا بتلقائية كاملة وعبروا عن عقيدتهم الإسلامية ، واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية " [٧٢] وبقي النقد ينطلق من دائرة التصور الإسلامي من دون أن يكون هناك ثمة تصادم بين الأدب والدين، ولم يكن الدرس النقدي مفصولا عن القرآن الكريم وعلومه وإعجازه ، فآراء النقد مبثوثة في كتب إعجاز القرآن وكتب البلاغة مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء والبيان والتبيين للجاحظ ،التي تعد جهوده في دراسة البيان القرآني إضافة جديدة وكشفا غير مسبوق أفاد منه الدرس النقدي [٧٣] ولكن بعد تقادم الزمان، وابتعاد الناس عن القرن المفضل قرن الوحي والقرآن ،وفتح الإسلام للأمصار والبلدان ودخولهم فيه على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، واختلاط المسلمين بكل أولئك أثروا وتأثروا، فشهد القرن الثالث والرابع للهجرة، ظهور تيارات فلسفية وكلامية لم تعهدها الساحة الإسلامية من قبل ، تزامن ذلك كله مع استشراف قضايا نقدية جديدة مثل قضية القديم والجديد والصدق والكذب والسرقات الشعرية والتعصب لشاعر بعينه، وأثير من بين تلك القضايا أو بسببها موقف الدين والأخلاق من الأدب٠ وانقسم النقاد إزائها على قسمين: قسم متمسك بموقف القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين في قبول الشعر الذي يتفق وروح الإسلام ويرفض ما سواه ،وتسقط قيمته الفنية

في معيارهم النقدي لخروجهم على تعاليم الدين ، ويمثل هذا القسم ابن قتيبة ومسكويه والباقلاني وابن حزم وعبد القاهر الجرجاني وابن وكيع وابن بسام الشنتريني ٠وقسم ثان متذبذب في أحكامه فهو من جانب يرى أن الشعر يضعف ويلين إذا دخل باب الدين والخير ، ويرى أيضا أن الدين ينبغي ألا يكون مقياسا للحكم على الشعراء ، ومن جانب أخر فإن هذا القسم ينفر في تطبيقاته النقدية من شعر يخرج على قيم الأخلاق ومواصفاته ، ويمثله ابن المعتز وقدامه بن جعفر و أبو بكر الصولي والقاضي عبد العزيز الجرجاني[٧٤] ويبدو أن الذي حملهم على القول بالفصل بين الشاعر ومعتقده - على مستوى التنظير- هو موقفهم الدفاعي عن الشاعر بإزاء خصومه من النقاد ، كما فعل القاضي الجرجاني في دفاعه عن المتنبي مثلا٠وايا كان الدافع فان إقصاء الدين الإسلامي عن ميدان النقد وأحكامه يُبقي النقد خارج دائرة التأثير والفعالية ويسلبه الموضوعية والصدق والاتزان، ويفقده هويته الإسلامية والعربية ،وهذا ما وقع فيه نقدنا المعاصر ٠

٤-النظرية النقدية:

من يتتبع أغلب الجهود النقدية العربية المبكرة يرى أنها لا تعتمد البناء الهرمي أو التراكمي، فهي جهود ذاتية ذوقية تمثل وجهات نظر أصحابها، وعلى شكل إشارات عابرة غير مشفوعة بالتعليل، ولم يكن للنقد كيان مستقل واضح القسمات ، فهو مرتبط بغيره متصل معه إذ " لم يقف النقد خارج البلاغة ، بل ربما ذهب بعض المؤلفين إلى أن الأدباء لم يفرقوا بين علوم البلاغة وبين النقد ٠ويتضح هذا في كتبهم التي سميت باسم النقد وبحثت في أبواب البيان كنقد الشعر والعمدة"[٧٥] والمادة النقدية في أغلب هذه الكتب مكررة تحت أبواب معهودة مثل السرقات الشعرية، واللفظ والمعنى ، والقديم والمحدث ، والطبع والصنعة وغيرها ،ولكن هذا لا يلغي جهودا نقدية متميزة أسست مفاهيم لها شأنها في عالم النقد ، كنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، وعمود الشعر في كتاب نقد الشعر للآمدي، وإن قسما من هذه الجهود يتسم بالأصالة والعمق ،ويتفق مع أحدث ما توصلت إليه المناهج النقدية الحديثة، بيد أن هذه الجهود - بحكم أنها جهود مؤسسة- لم تتبلور لتشكل نظرية متكاملة في النقد الأدبي ،أو تؤسس مذهبا او مدرسة مستقلة "فالفكر النقدي لدينا فكر شمولي لم يتحول بعد إلى خطة تفصيلية في التعامل مع النص "[٧٦] وكان يمكن لهذه الجهود النقدية –على تبعثرها- أن تكون قاعدة لتأسيس نظرية نقدية عربية تستمد أصولها من التراث ، وتتغذى بالصالح الجديد الذي ينتجه الفكر الإنساني على نحو عام ، لو أن الجهود النقدية الحديثة دارت في فلك هذا التصور، لكن شيئا من هذه المزاوجة لم تحصل، فقد أسلم النقد المعاصر قياده للنظريات الغربية والمذاهب الفكرية الوافدة من دون أن يراعي خصوصية الأدب العربي وهويته ، ومن دون أن يكلف نفسه فحص المرجعية الفكرية لهذه المذاهب، والظروف التي نشأت في ظلها، والنتيجة كانت بعد عقود من الممارسة التنظيرية والتطبيقية إذ إن نقدنا مازال يعاني من أزمة حادة تهدد هويته وكيانه ، ومازال في الوقت نفسه بعيدا كل البعد عن الخطوات الحقيقية لبناء صرح نظرية نقدية ، فالآثار النقدية المعاصرة على كثرتها وعلى تنوع مؤلفيها لا تصلح أن تكون أصلا ثابتا يُرجع إليه في نقد الأدب ، لأنها أثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا ،

مما زاد من حدة هذا التباين اختلاف النتاج الأدبي، وتباعد الاتجاهات الفنية والمبادئ والأهداف التي يصدر عنها هذا الأدب، فيكاد كل أديب يشكل مدرسة بذاتها [٧٧]، وفي ظل هذا الواقع كان من الطبيعي أن يظهر التفاوت في النقد الأدبي ومقياسه ، وتتلاشى الطموحات الداعية إلى تأسيس نظرية نقدية عربية، بالرغم من محاولات النقاد المعاصرين، كمحاولة الناقد حسام الخطيب التي جاءت بعنوان (مقترحات مبدئية باتجاه نظرية عربية في الأدب) ومحاولة عبد الفتاح كليطو في كتابه (الكتابة والتناسخ) والناقد حاتم صكر في كتابه (البئر والعسل) ومصطفى ناصف في منجزه النقدي العربي (نحو قراءة ثانية .)[٧٨] ولن يكتب لهذه الجهود النجاح إلا إذا عادت إلى الأصول الشرعية الكتاب والسنة وآثار الصحابة فضلا عن الاصول الأدبية والنقدية التراثية.

٥-التراث النقدي والأدبي

إذا كانت واحدة من أزمات النقد المعاصر الانكباب على المنجز النقدي الغربي انكبابا غير واع، فأن التنكر للتراث [*] وتهميشه على مستوى الممارسة والتنظير في أطروحات النقد المعاصر، تمثل أزمة جيدة، فكثيرا ما يتردد عند الحديث عن الجديد في الجهود النقدية واللغوية والفكرية في الغرب عبارة مفادها (...إن هذه الفكرة وأساسها موجود عند الجرجاني أو الآمدي أو ابن خلدون أو سيبويه ...الخ)لكن شيئا من هذا التصور – الصحيح- لا يأخذ حقه كفاية على مستوى توظيف هذا التراث، والانتفاع منه في المنجز النقدي المعاصر الذي يعاني من تبعية تكاد تسلبه هويته، وتتجاوز الأزمة قضية عدم الالتفات للتراث وتقزيمه إلى الطعن في هذا التراث ،ورفضه وإقصائه من ساحة العمل النقدي ،بل وتحميله التبعات السلبية للواقع العربي الراهن.وبدأت حالة من الانفصام بين النقد والتراث، بل حالة من العداء صار فيها الأدب ونقده معولا لهدم التراث والتاريخ الإسلامي، كما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية وطه حسين في كتبه الأدب الجاهلي وحديث الأربعاء ومستقبل الثقافة في مصر ، وسلامة موسى في مقالاته، ولويس عوض في إصداراته، ثم تابعهم جل الكتاب والنقاد العرب تمدهم في ذلك أقوال المستشرقين ودراساتهم التي تتوافق وهذا المنظور،حتى صار النيل من التراث والتشكيك فيه منهجا عند الدارسين والنقاد، تجلى في أوضح صوره في (الثابت والمتحول) لادونيس وغيره من كتابات الحداثيين .[٧٩]

والدعوة إلى الالتفات إلى التراث على نحو عام ، والتراث النقدي على نحو خاص لاتمثل تحيزا للتراث كما لا تعني عدم الإفادة من الآخر ، ولكن هذه الدعوة تؤمن بأن الجهد النقدي التراثي أقرب إلى روح الأدب العربي ،وقضاياه اللغوية والفنية ومرجعيته التاريخية والثقافية، ومن ثم فالنقد المولود في البيئة العربية اشد تعبيرا وفهما للشاعر ابن البيئة ذاتها ،والحال نفسها تنطبق على النقد الغربي. فضلا عن ذلك فإن طرح التراث كله – ومنه التراث النقدي- ظهريا وتسفيهه يبعد تراثنا النقدي عن العقيدة الإسلامية وإن نقادنا الأوائل – وكان فيهم المحدث والقارئ والقاضي – صوروا بتلقائية كاملة وعبروا عن عقيدتهم الإسلامية ،واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية " [٨٠] وبقي النقد ينطلق من دائرة التصور الإسلامي من دون أن يكون هناك ثمة تصادم بين الأدب والدين، ولم يكن الدرس النقدي مفصولا عن القرآن الكريم وعلومه وإعجازه ، فآراء

النقد مبثوثة في كتب إعجاز القرآن وكتب البلاغة مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء والبيان والتبيين للجاحظ ،التي تعد جهوده في دراسة البيان القرآني إضافة جديدة وكشفا غير مسبوق أفاد منه الدرس النقدي والحط من قدره أمرا خاطئا ، بالقدر الذي يعد التعصب للتراث وفرض القداسة عليه كله أمرا خاطئا أيضا ؛لأن التراث جهد الإنسان وفلسفته للعلوم والأشياء والمعارف، وفيه من الصواب والخطأ بقدر توفيق المجتهد ومدى قوة ملاحظته وتوقد ذكائه ،وأعمال فكره ،وصحة قياسه للأدلة واستنباطها واستحضارها ،ورصيد التراث من النجاح والصحة وافر السلامة ، بشرط مراعاة الجانب المقدس المصدر الإلهي (القرآن والسنة) فكلاهما معصوم لابد من احترامه وتوقيره، لذا فهما فوق المسألة والمناقشة ،ومن ثم فلا يصح بصدد التعامل مع هذا الجانب من التراث الانتقاء أو الاختيار منه، أو محاولة تطويعه للواقع أو التفكير بتوظيفه لتحقيق مصالح خاصة ..فهو إطار يحكم الحياة ولكنه يدعها تتطور داخله. أما الجوانب والمنجزات البشرية والحضارية والثقافية والأدبية والنقدية فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف على وفق الرؤية المعاصرة وبحسب الحالة والمصلحة ، وعلى وفق معيار وميزان ثابت لا يطيش ولايختل ألاَ وهو الإسلام متمثلا بمصادره الأصلية، وهذا المعيار أو المنطلق نحتكم إليه" فيما ندع من حضارات الأمم الأخرى" (٨١)

٦- تاريخ الأدب :

تعتمد المناهج النقدية السياقية كالمنهج التاريخي والاجتماعي في أحكامها النقدية على المعلومات التاريخية والبيئية والاجتماعية المحيطة بالأديب في الوقت ذاته فإن الكثير من كتب التاريخ تعتمد في معلوماتها على التراث الأدبي والنقدي بوصف الأديب مرآة العصر الذي نشأ فيه.وفي هذه العلاقة المتبادلة بين الأدب والنقد والتاريخ جانبان خطيران:

الأول : استخدمت الدراسات الأدبية وكتب النقد الأدبي في تشويه التاريخ، فصار شعر عمر بن أبي ربيعة صورة للمجتمع في عصره ، وشعر أبي نؤاس ومسلم بن الوليد وبشار وقصص ألف ليلة وليلة صورة لواقع الحياة في العصر العباسي، ولا ننسَ تلك الصورة المعتادة لهارون الرشيد وهو يتوسط مجلس اللهو والشراب والرقص كما نقلتها كتب الأدب، والأخطر من ذلك أن تستعمل تلك الدراسات الأدبية في تشويه الشخصيات الإسلامية في تفسيرها للظواهر الأدبية كما في تعليلها لظاهرة شيوع الغزل في العصر الأموي اذ تقول: "لم يكن الغزل فنا مستقلا، ينظم فيه الشاعر لذاته في العصر الجاهلي ، ولكنه أصبح فنا مستقلا وأصبحت القصائد تنظم من أجل الغزل وحده ، وترى هذه الدراسات أن من أهم أسباب ظهور هذا الفن :

١- أبعد الأمويون أبناء المهاجرين والأنصار عن السياسة ، وأسكنوهم الحجاز ،ومنحوهم الأموال الطائلة ،ووجد هؤلاء الفراغ والأموال فبدءوا ينظمون هذا اللون من الشعر.
٢- كثرت السبايا نتيجة للفتوحات الإسلامية ، وكان معظم أبناء المهاجرين والأنصار من الشباب ،فانصرفوا إلى الغزل وسماع الغناء، وقال هؤلاء شعرا رقيقا ،أبدعوا فيه ووقفوا شعرهم عليه ."(٨٢) هكذا بمثل هذا التجريح والطعن في رجال الأمة من الصحابة وأبنائهم

يفسرون الظواهر الأدبية تفسيرا سطحيا الغرض منه النيل من الإسلام ، كما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية المكتنزة بالإساءة لثوابتنا ورموزنا الإسلامية ، وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي في آثارهم الأدبية والنقدية ، وخطورة هذه الأعمال وغيرها أنها جاءت في سياق العمل الأدبي الذي يعفى صاحبه من شروط التحقيق في الرواية وضبطها ،كما أنها تقدم بوصفها عملا فنيا ودراسة فنية بحتة غير مقصود ما تحمله من أفكار .

الجانب الثاني: ويكمن خطره كوننا ورثنا جملة من الأخطاء والأوهام التاريخية قادتنا إلى أحكام نقدية مشوشة فيما يتعلق بدراسة حياة الشاعر وبيئته ، والحكم على قيمته الأدبية من خلالهما، فالعصر العباسي عصر مجون وخمر ولهو لذا فإن بيئته كانت متهيئة لولادة شاعر مثل أبي نؤاس، كما أنه عصر زندقة والحاد ودليله شعر أبي العلاء المعري، والعصر الأموي عصر العصبية القبلية والدسائس والمكائد والتحزب القبلي والمذهبي ، وهكذا فسرت كثير من الظواهر الأدبية تبعا لما توهمناه من أحداث تاريخية جاءتنا نتيجة لمنقولات المستشرقين غير المبرءة من تهمة تشويه تاريخنا الإسلامي ، واعتمد هؤلاء على المصادر الأقل ضبطا وتحقيقا ، واكتفوا بإظهار الروايات والأحداث المضطربة من هذه المصادر ككتاب الأغاني الذي "لم يكن يوما مصدرا علميا يدرس منه تاريخ المسلمين في عصر من العصور ورباعيات الخيام لم تكن في الحقيقة إلا شعرا أنشأه شعراء مجهولون قبل الإسلام ، وفي ظل مجوسية الفرس ، جمع ونسب إلى هذا العالم الفلكي الذي خلت حياته من مثل هذه الأهواء " (٨٣) كما شك المستشرقون بأولية الشعر الجاهلي وتاريخه ونسبته وهونوا من تأثير الإسلام في الشعر بل إنهم حسبوا عصر صدر الإسلام عصر حُطت فيه منزلة الشعر والشعراء، فيما ذهبت أقلامهم تنبش في أدب التصوف عند الحلاج وابن عربي وأدب الإباحة والمجون مصورة هذه العوارض والانحرافات في أدب الأمة على أنها صورة للعصر كله ومثال له نظائره الكثيرة، وبالمنظور الغربي ذاته صُور هارون الرشيد منحرفا،والغزاة فاتحين، والأدب الرخيص الماجن تجديدا، والأدب المنحرف عن جادة الدين والأخلاق إبداعا، وهكذا غشي تاريخ الأدب العربي على نحو خاص وتاريخنا على نحو عام ضبابية حالت دون رؤيته على صورته الحقيقية المشرقة(*)، وسبب ذلك كله يعود إلى أن تاريخنا ومنه تاريخ الأدب العربي قدم وفسر برؤية غربية معادية متحاملة مفرغة من الموضوعية على الرغم من ادعائها الموضوعية، وغابت عنه الرؤية الإسلامية والوطنية المعبرة عن هويته وكيانه؛ ليصبح تاريخنا أخلاطاً من أوهام المستشرقين والمتأثرين بهم من العرب ،ومع تقلب الزمان ومروره، وسيطرة هؤلاء على وسائل الإعلام والمؤسسات الأكاديمية والمراكز البحثية، صارت هذه الأوهام بمنزلة الحقائق التي لا تناقش في ذهن الجيل ؛ فتسللت هذه الأوهام إلى دراساتنا النقدية تحت دعوات خداعة زعمها بعض المستشرقين "من أن الدراسات العربية والإسلامية لا تصح ولا تكون جديرة بالتقدير ومستقيمة على موازين العلم حتى يتجرد كاتبها من عاطفته الدينية والوطنية فينسى أنه عربي حين يكتب تاريخ العرب ، وينسى أنه مسلم حين يكتب تاريخ المسلمين " (٨٤) وهذه الموضوعية الزائفة والدعوة المشبوهة التي ترمي إلى فصل ذاتنا وعاطفتنا عن تاريخنا وزرع الريبة والشك فيه.وأخيرا بمعيار الموضوعية أيضا- كيف لمستشرق مهما تدرع بالموضوعية وتسلح بالعلم

وادعى الحيادية كيف له أن يفسر الغزوات الإسلامية مثلا؟ كيف يقيم جهود الصحابة وصنيعهم ؟ كيف يفهم الدلالات اللغوية والأساليب البيانية في خطبهم وأقوالهم؟ ثم كيف يفسر الظواهر الأدبية تفسيرا صحيحا ويربطها بإطارها التاريخي والاجتماعي؟
لا شك في أنه سيرجع دوافع تلك الغزوات إلى دواع مادية مرتبطة بالغنائم والسلب ، ولا شك أن مقدرته اللغوية المحدودة ستقوده إلى أخطاء في التقييم والحكم وبالمنطق نفسه سيكون تفسيره للظواهر الأدبية تفسيرا قاصرا ، هذا إذ سلمنا بحيادية هذا المستشرق. هذا كله يقودنا إلى التأكيد أن النتائج التي يقدمها لنا التاريخ في مجال النقد والأدب أو غيرهما لا يمكن الاطمئنان إليها والتسليم لها ما دام هذا التاريخ في الكثير من خطوطه العريضة مدونا بأنامل غربية ملوثة ،والمطلوب إعادة النظر في تاريخنا وكتابته برؤية وروح إسلامية عربية.
ثم إن تقسيم الأدب على مراحل زمنية معهودة (العصر الجاهلي –الإسلامي – الأموي –العباسي – أندلسي – عصور متأخرة –حديث –معاصر)فيه إشارة إلى محدودية الإسلام، وقلة تأثيره بوصفه عصرا من تلك العصور، وليس دينا شاملا للكون يضم في حناياه كل تلك المراحل مهما ضعف فيها الوازع الديني، فالإسلامية لم تغب عن ميدان الحياة منذ أن أشرقت شمسها ،وامتد ضياؤها وأن هذا التقسيم التعسفي "يؤكد ما حدث من انفصالية بين الدين والأدب ويؤكد ارتباط الأدب بالسياسة والمذهبية والعنصرية "[٨٥] ويقطع الدولة الإسلامية قطاعات مختلفة، ويبعد الهوية الإسلامية عن الأدب والحياة ويضع محلها هوية العشيرة والقبيلة ،وهذا كله يدفع الدارس من دون وعي إلى تتبع الظواهر الطفيفة التي لا تعدو كونها فروقا بين دول وعصور ، وليبني عليها نظرة تطورية معينة ، ويستخلص منها ما يسمونه بمميزات العصر.ومن هنا فالخضوع لهذا المنهج يربط الأدب بأمور سياسية وصراعات مذهبية وفكرية تجعل الذين وضعوا هذه التقسيمات يطبعون الأدب بطابعها ،ومن ثم تتضخم المؤثرات المادية ، وتنطمس في الوقت نفسه المؤثرات الأساسية وهي العقيدة [٨٦] وهذا التفسير المادي للأدب يتفق مع غايات المستشرقين والمبشرين الذين هم في الحقيقة مصدر هذا المنهج؛ لذا لا يمكن التسليم بهذا المنهج من حيث النتائج والدراسة، والمطلوب كتابة التاريخ الأدبي برؤية إسلامية تستمد منطلقاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين ،مع الكشف عن الملامح الإسلامية في كتب التراث الأدبي والنقدي والبلاغي ،ليتم في ضوئها عملية تقسيم تاريخ الأدب على مراحل تحمل الطابع الإسلامي شكلا ومضمونا.

٧ - لـــغة النـــقد:

بدأت لغة النقد العربي بسيطة لا تعدو أحكاما موجزة سريعة تتسم بـ"الإيجاز والتركيز والاكتفاء باللمحة الدالة والإشارة المقتضبة "[٨٧] وليس في هذه اللغة وجود لتحليل أو تعليل ، أو مداخلة لعملية وصف في إطارها المحدود ، فهي لا تتجاوز التفوهات النقدية التي تستعجل الحكم وتقرره ، ولكنها قبل كل شئ استجابة عفوية صادقة ، لذالك تعد حكما نقديا[٨٨] ثم تطورت لغة النقد مع ظهور الإسلام ، في ضوء الوعي الديني والعقائدي ، ونظرة الإسلام للإبداع الشعري ، والملاحظ أن الممارسات النقدية -على قلتها- في هذا العصر تأثرت بالمعيار الديني كثيرا مما دعا إلى ظهور

كثير من المفردات الجديدة في لغة الأحكام النقدية .ومع بداية التأليف المنهجي في القرن الثالث الهجري بدت المحاولات النقدية أكثر منهجية واستقرارا بعد ظروف ألمت بالنقد فأثرت في قضاياه ، ورافق ذلك تطور في الرؤية النقدية، مما جعل لغة النقد تتجاوز أطرها السابقة في كونها جملا محددة إلى إن تتحول إلى ما يشبه الفكر النقدي التأصيلي ، فبدت لغة النقد واضحة ملموسة ، استطاعت في القرن الرابع الهجري أن تكون لغة متخصصة تستوعب النشاط الإنساني في أكثر خصوصياته عمقا وغنى ، إذ ارتبطت هذه اللغة بمستوياتها (الوصفي والمعياري) [٨٩] وبالرغم من تأثر اللغة النقدية بالنزعة الفلسفية في هذا القرن ، والقرون التي تلته إلا أن هذا التأثر لم يسلب لغة النقد الوضوح والتميز، ويوصلها إلى الغموض الذي وصل إليه النقد المعاصر، والذي بات يشكل سمة بارزة من سماته أدى إلى تشويه الأفكار والمفاهيم الأصيلة ، وهو غالبا ما ينشأ أما عن سوء فهم النص الحداثي، وأما عن سوء الترجمة والنقل إلى اللغة العربية وأما عن الاثنين معا، [٩٠] وهذا ما يحيله الدكتور عبد العزيز حمودة إلى سببين:

الأول- إن الحداثة الغربية إفراز مباشر للفلسفة الغربية ، والثاني: يعود إلى رؤية النقاد المعاصرين إلى العمل النقدي والكتابة النقدية ذاتها ، كونها - عندهم - عملية لا تقل أهمية عن النص الإبداعي ذاته ، والقول إن لغة النقد لغة ثانية قول مغلوط ؛ لان لغة النقد هي لغة أولية[٩١] وعليه يكون اختيار الغموض والمراوغة على مستوى لغة النقد اختيارا مقصودا وفعلا متعمدا مرده أن" تلفت لغة النقد النظر إلى نفسها" [٩٢] ويسوغون ذلك الغموض باتهام عقل القارئ العربي بأنه ما يزال على وفق آليات ومنطقيات غير قادرة على استيعاب المصطلحات والمناهج النقدية التي يبثونها في دراستهم النقدية ، إذ إن الكتابة العالية لا تتوجه إلى جمهور شعبي من القراء ، بل تستهدف النخبة المثقفة القادرة على قراءة هذا النوع من الكتابة [٩٣]. ولبيان الأزمة التي يعيشها النقد المعاصر على صعيد لغته ، ولكي لا يكون حكمنا حكما نظريا لا يستند إلى دليل واقعي ننقل هنا عددا من النصوص النقدية العربية المعاصرة غير المترجمة ،ولن نتعرض للنصوص المترجمة واشكالياتها ، وسنكتفي بنصوص النقاد العرب ،من هذه النصوص نص نقدي يذكره صاحب كتاب المرايا المحدبة للناقد والباحث عبد الرحمن بسيسو من دراسة بعنوان (قراءة النص في ضوء علاقته بالنصوص المصادر-قصيدة القناع أنموذجا) فيقول: تعود محاولة تعرف دوافع التقنع في القصيدة العربية إلى الأطلال على شبكة المتناقضات التي تتخلل الواقع العربي مكبوحة عن التفاعل والى تعرف طبيعة العلاقة القائمة بين الشاعر من جهة وواقعة الاجتماعي والتاريخي وذاته والشعر من جهة ثانية وذلك على اعتبار أن موقف الشاعر المتوجة نحو اختراق شبكة المتناقضات لفك كوابحها وتفعيلها...فإن هذه الشبكة تنهض بدورها على شبكة دوافع متضافرة ومتفاعلة تنبع من قراءة الشاعر المسكون بموقف كياني حداثي نسيج شبكة المتناقضات ومن اكتشاف علاقاتها الممكنة بغية تفعيلها وفتح أقطابها المتناقضة على جدل حر مفتوح يفضي إلى تجديد الذات والشعر والمجتمع) ويحاول عبد العزيز حمودة أن يترجم النص ترجمة تقريبية مستبعدا أن يكون الغموض في نص بسيسو يعود إلى سوء الفهم ، ويؤكد أيضا أن هذا الغموض في لغة النقد غموضاً متعمداً، وإلا فالنص لا يعدو معناه غير الآتي: إن دوافع استخدام القناع تنبع من إدراك الشاعر للتناقضات في

المجتمع ورغبته في الكشف عن هذه التناقضات ، وفضحها عن طريق خلق كيان شعري يتم فيه تفعيل أو تحرير هذه التناقضات وهو في ذلك يلجأ إلى عملية إسقاط هربا من قهر السلطة) [٩٤] وينقل الناقد نصوصا كثيرة تبين حالة الغموض التي تكتنف لغة النقد المعاصر[*]

النتائج والتوصيات

ليس من اليسير على الباحث تتبع نتائج بحثه كلها في هذا المقام كما لا يمكن له أن يبدي المقترحات والتوصيات على نحو تفصيلي فالبحث نفسه منهج نقدي مقترح، إذ تنطلق هذه الدراسة من نتيجة عامة تزعم أن تراثنا النقدي والأدبي- غالبا - تمت قراءته من خلال المناهج المادية الغربية وبجهود المستشرقين وأبحاثهم، وقد أثمرت جهودهم هذه جيلا من النقاد العرب الذين ينظرون إلى منجزنا النقدي بذات المنظور الغربي، ويذهبون إلى ذات المذهب، ويحاولون دراسة الأدب العربي على وفق آليات المذاهب الغربية ومناهجها بصورة قسرية، دون مراعاة لخصوصية الأدب العربي وطبيعته ،فصار نقدنا كرجع الصدى للمناهج النقدية الغربية وكاد يفقد هويته وذاته ، وغابت عنه الرؤية الصحيحة مع أن في تراثنا الإسلامي مصادر صالحة يستمد منها النقد أحكامه وحاولت هذه الدراسة التعرف على تلك المصادر والأصول وتوظيفها في الدرس النقدي واجملتها بالاتي:القرآن الكريم ، والسنة النبوية ،وأقوال الصحابة ، والتابعين ، والتراث النقدي العربي ، ومقالات الإسلاميين ، والجهود النقدية العالمية التي تتفق مع الفكر والتصور الإسلامي.

أرادت هذه الدراسة أن تتجاوز الإطار التنظيري عن طريق محاولتها تطبيق هذه الاصول على مفاهيم نقدية قديمة وحديثة، وقراءتها وفق التصور الإسلامي، وبيان الموقف الإسلامي من هذا المفاهيم اعتمادا على الأصول التي تم تحديدها ، ولا يخلو هذا المنهج من صعوبات لقلة المكتوب في هذا الميدان ، ولكنها خطوة من خطوات كثيرة سبقتها نحو منهج نقدي إسلامي يعيد لنقدنا هويته المسلوبة .

وقد أفضت هذه القراءة الإسلامية لمفاهيم النقد وقضاياه جملة من الحقائق الجديدة: منها أن الأدب والأخلاق والدين لم يكونوا محل خصام مستمر كما أدعى النقد غير الإسلامي، إذ لم يبتعد تراثنا النقدي عن العقيدة الإسلامية وأن نقادنا الأوائل – وكان فيهم المحدث والقارئ والقاضي – صوروا بتلقائية كاملة وعبروا عن عقيدتهم الإسلامية ،واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية ، وبقي النقد ينطلق من دائرة التصور الإسلامي من دون أن يكون هناك ثمة تصادم بين الأدب والدين، ولم يكن الدرس النقدي منفصلا عن القرآن الكريم وعلومه وإعجازه .وتقف الرؤية الإسلامية موقفا متوازنا في نظرتها للتراث فهي ترفض التعصب للتراث وفرض القداسة عليه كله ، كما ترفض تهميشه وتجاوزه وعدم الإفادة منه بحجة أنه تراث.

وترى -أيضا- أن النتائج التي يقدمها لنا التاريخ في مجال النقد والأدب أو غيرهما لا يمكن الاطمئنان إليها والتسليم بها ما دام هذا التاريخ في الكثير من خطوطه العريضة مكتوبا بأنامل غربية ملوثة، والمطلوب إعادة النظر في تاريخنا وكتابته برؤية وروح إسلامية عربية . وبمنظور الرؤية الإسلامية المتوازنة نقيم ذاتية الناقد وموضوعيته وموقفه من العمل الأدبي اذ يستمد النقد حياته

من رافدين" الموضوعية و الذاتية " فمن العبث أن نفقد مقوماتنا الذاتية ، ومعاييرنا المستقلة ، وقيمنا وثوابتنا ، ونذوب في العمل الذي ننتقده ومن العبث – أيضا – أن نفتقر للموضوعية في تقييم النصوص والحكم عليها ،وقد أدى إسراف النقاد في أحد الجانبين ،وتقليدهم للمذاهب النقدية الغربية إلى غياب النظرية النقدية ، ليتحول النقد المعاصر إلى أخلاط من الآراء الغربية ، فالآثار النقدية المعاصرة على كثرتها وعلى تنوع مؤلفيها لا تصلح لان تكون أصلا ثابتا يُرجع إليه في نقد الأدب ، لأنها آثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا ، مما زاد من حدة هذا التباين اختلاف النتاج الأدبي، وتباعد الاتجاهات الفنية والمبادئ والأهداف التي يصدر عنها هذا الأدب، فيكاد كل أديب يشكل مدرسة بذاتها ، وفي ظل هذا الواقع كان من الطبيعي أن يظهر التفاوت في مقاييس النقد الأدبي وأحكامه ؛ نتيجة لغياب المصدر الأصيل الذي تصدر عنه تلك الأحكام ، وتتلاشى الطموحات الدعية إلى تأسيس نظرية نقدية عربية، ولن يكتب لهذه الجهود النجاح إلا إذا عادت إلى الأصول الشرعية (الكتاب والسنة ، وأثار الصحابة) فضلا عن الاصول الأدبية والنقدية التراثية ..

الهوامش والمصادر

- القرآن الكريم

١. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ، باب المناقب ، المغازي ، التفسير ، رقم الحديث / ٤٩٦٨، مطابع الشعب – القاهرة ، ط١، ١٩٧٩

* ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، شرح وتقديم : الاستاذ عبد أ علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٩٩٤ ، ص١٠٨ .

٢. الموازنة بين الطائيين ، الامدي، تحقيق : احمد صقر ، دار المعارف القاهرة ، ط٢، ١٩٧٤ /٤٤١ .

٣. مقالات الاسلاميين في الادب والنقد– احمدالرفاعي شرفي،دار ابن حزم،بيروت–لبنان،ط١، ٢٠٠٩، ص١٩٩

* مجاز القرآن ، ابو عبيدة بن معمر بن المثنى التيمي ، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨١ ، ص١١ .

٤. ينظر: مقالات الاسلاميين ، ص٨١ .

٥. الخطاب الادبي في القرآن الكريم والسؤال الغائب ، عباس المناصرة ، مجلة البيان ، العد د٢٠٠٩ ، لسنة ٢٠٠٥ ، ص١٠٠ .

٦. سنن ابي داود ، رقم الحديث / ٤٦٠٦ ، للمحافظ ابي داود بن الاشحن الاسدي ، دار الكتب الحديثة – القاهرة

٧. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم الحديث / ٢٤٩٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتنوزيع ببيروت، ١٩٧٢ .

٨. صحيح البخاري ، كتاب الادب ، رقم الحديث / ٥٨٠٢ .
٩. صحيح البخاري ، باب الخطبة ، رقم الحديث / ٥١٤٦ .
١٠. ينظر: الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، ابو حاتم الرازي ،تحقيق :حسين بن فضل الله الهمداني ،وعبدالله سلوم ، دار الكتب العربية بمصر –١٩٥٧، ١/١٣٢ .
١١. ينظر: السيرة النبوية ، ابو محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا واخرون ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٦ ، ص١٣٣ .
١٢. ينظر: المصدر نفسه ، ص١٣٣ .
١٣. صحيح مسلم ، رقم الحديث / ٢٤٢١ .
١٤. الادب المفرد للبخاري ، باب الشعر حسن كحسن الكلام ، رقم الحديث / ٨٦٢ .
١٥. النهاية في غريب الحديث ، ابن الاثير ، المكتبة العلمية – بيروت – ١٩٧٩م
١٦. سنن ابي داود ، كتاب الادب ، رقم الحديث / ٤٩٨٢ .
١٧. صحيح مسلم ، كتاب القدر ، رقم الحديث / ٤٨٢٢ .
١٧ * . سنن النسائي ، باب الحلف والنذور ، رقم الحديث / ٤٦٩٦ ، احمد بن شعيب النسائي ، دار الغد الجديد
١٨. صحيح مسلم ، باب النهي عن سب الدهر ، رقم الحديث / ١٧٦٢ .
١٩. سنن ابي داود ، كتاب الادب ، رقم الحديث / ٤٩٥٦ .
٢٠. سنن ابي داود ، كتاب الادب ، رقم الحديث / ٤٩٥٦ .
٢١. صحيح مسلم ، رقم الحديث / ٥٦٥٢ .
٢٢. ينظر: الموشح ، ابو عبدالله المرزباني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٣٢١ .
٢٣. العقد الفريد ، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، شرح: احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٦ ، ٥/٢٧٠ .
٢٤. ينظر: الاغاني ، لابي الفرج الاصفهاني ،دار الكتب المصرية ، اشراف : ابراهيم الابياري، ١ /٣١٠.
٢٥. العمدة ، في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ١/٤١ .
٢٦. مقالات الاسلاميين ، ص٨٤ .
٢٧. مقدمة في نظرية الشعر الاسلامي، عباس المناصرة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص١١٥.
٢٨. اخبار ابي تمام ، الصولي ، تحقيق: خليل عساكر واخرون ، المكتب البخاري – بيروت ، ص١٧٣ .

٢٩. ينظر: مقدمة في نظرية الشعر الاسلامي ، ص٦٣ .
٣٠. ينظر: المذاهب الادبية الغربية رؤية فكرية وفنية ، وليد القصاب ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٥ ، ص٢٧.
٣١. وينظر: حول الانتفاع من الفكر الغربي (مدخل الى نظرية الادب الاسلامي) ، د. عماد الدين خليل ، ص٣٣ .
٣٢. وينظر: المنهج الاسلامي في النقد الادبي ، سيد سيد عبد الرزاق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، دمشق، ط١، ١٩٩٣ ، ص١٧٥ .
٣٣. مقالات الاسلاميين ، ص١٧٧ .
٣٤. المنهج الاسلامي في النقد الادبي ، ص٧٣.
٣٥. ينظر: مدخل الى نظرية الادب الاسلامي ، ص١٤٥ .
٣٦. ينظر: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، محمد ناصر العجيمي ، دار محمد علي الحامي ، تونس ، ط١، ١٩٩٨ ، ص٤٣ .
٣٧. ينظر: مقالات الاسلاميين ، ص٣٣ .
٣٨. في الادب الحديث ونقده ، عماد علي الخطيب ، دار المسيرة ، عمان ، ط١، ٢٠٠٩ ، ص٢٢٧
٣٩. عباس محمود العقاد ناقدا ، عبد الحي دياب ، دار المعارف القاهرة ، ص٧٣ .
٤٠. ينظر: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث ، د. لطفي محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠١١، ص١٥ .
٤١. ينظر: شعرنا القديم والنقد الجديد ، وهب احمد رومية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد – ٢٠٧ – الكويت ، ١٩٦٦، ص٧.
٤٢. وينظر: نقد خطاب الحداثة ، ص١٨ .
٤٣. نظرية الادب في ضوء الاسلام، د. عبد الحميد بوزوينة، دار البشير، عمان، الاردن، ط١،١٩٩٠،ص١٦.
٤٤. المذاهب الادبية الغربية ، ص١٩ .
٤٥. في النقد الادبي ، عبد العزيز عتيق ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١، ص٢٤٣.
٤٦. ينظر: المذاهب الادبية الغربية ، ص٢٠ .
٤٧. ينظر:مدارس النقد الادبي الحديث،محمد عبد المنعم خفاجة،الدار المصرية اللبنانية، ط١،١٩٩٥،ص١٥٣.
٤٨. ينظر: المذاهب الادبية الغربية ، ص٥٥ .
٤٩. ينظر: الاسلامية والمذاهب الغربية ، نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧، ص١٣٢ .
٥٠. ينظر: في النقد الادبي ، محمد مندور ، منشورات دار النهضة ، مصر – القاهرة ، ص١١٢.

٥١. وينظر : نظرية الادب في ضوء الاسلام ، ص٤٥ .
٥٢. وينظر: المذاهب الادبية الغربية ، ص١٣٢ .
٥٣. ينظر: الاسلامية والمذاهب الغربية ، ص١٢١ .
٥٤. (الادب الذي نريد) حلمي محمد القاعود – مجلة البيان – العدد ٢٤٥ .
٥٥. ينظر:مبادئ في الادب الدعوة،عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢،١٩٨٧، ص١٣.
٥٦. المذاهب الادبية الغربية ، ص٢٧ .
٥٧. وينظر: مدخل الى نظرية الادب الاسلامي ، ص٣٣ .
٥٨. وينظر: المنهج الاسلامي في النقد الادبي ، ص١٧٥ .
٥٩. النقد الادبي الجديد في القصة والرواية والسرد، عبدالله ابو هيف ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠، ص٣ .
٦٠. نقد خطاب الحداثة ، ص١٣ .
٦١. مقالات الاسلاميين ، ص٧٠ .
٦٢. التيارات المعاصرة في النقد الادبي ، بدوي طبانة ، دار الثقافة بيروت– لبنان، ١٩٨٥، ص٥٦
٦٣. علي السفود، مصطفى صادق الرافعي ، دار العصور ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص١١١.
٦٤. التيارات المعاصرة ، ص٥٣ .
٦٥. المصدر نفسه ، ص٦٥ .
٦٦. المصدر نفسه ، ص٥١ .
٦٧. الاسس الجمالية في النقد العربي ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط٣، ١٩٧٤، ص١٨٣.
٦٨. المصدر نفسه ، ص١٨٣ .
٦٩. ينظر: المصدر نفسه ، ص١٨٤ وما بعدها .
٧٠. ينظر: نظرية النقد العربي وتطورها الى عصرنا ، محيي الدين صبحي ، الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ، ١٩٨٤، ص١٧ وما بعدها .
٧١. المصدر نفسه ، ص١٤ .
٧٢. مقالات الاسلاميين ، ص٣٥ .
٧٣. اثر القرآن الكريم في تطور النقد الادبي، محمد زغلول سلام ، مطبعة المعارف المصرية، القاهرة، ط١، ص٩٩ .
٧٤. النقد الاخلاقي اصوله وتطبيقاته ، نجوى صابر ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٩٠ ، ص٦٧ .
٧٥. الاسس الجمالية ، ص١٥٣ .

٧٦. نقد خطاب الحداثة ، ص٢٥ .
٧٧. ينظر: التيارات المعاصرة ، ص١٢٢ .
٧٨. ينظر: نقد خطاب الحداثة ، ص٣٢ .
٧٩. المنهج الاسلامي في النقد الادبي ، ص٣٢ .
٨٠. مقالات الاسلاميين ، ص٣٥ .
٨١. المصدر نفسه ، ص١٥٢ .
٨٢. نمو رؤية جديدة للتاريخ الاسلامي،عبد العظيم محمد الديب، دار البشير– عمان– الاردن– ١٩٩٣، ص٣٢
٨٣. اطار اسلامي للفكر المعاصر ، انور الجندي ، المكتب الاسلامي ، ط١، ١٩٨٠ ، ص٣٢٤ .
٨٤. الاسلام والحضارة الغربية ، محمد محمد حسين ، دار الرسالة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط٩، ١٩٩٣، ص٢٧٨.
٨٥. افاق الادب الاسلامي ، نجيب الكيلاني ، ص١٩ .
٨٦. ينظر: في الادب الاسلامي دراسة وتطبيق، محمد حسن بريغش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،ص٦٩.
٨٧. النقد الادبي في القرن الاول الهجري، د. ابراهيم نصر ، دار المعرفة، القاهرة، ص٨٤ .
٨٨. ينظر: لغة النقد العربي القديم ، د. عبد السلام محمد رشيد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٨ ، ص٢٩ .
٨٩. ينظر: المصدر نفسه ، ص٣٠ ، وما بعدها .
٩٠. ينظر: نقد خطاب الحداثة ، ص٧ .
٩١. ينظر : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية ، عبد العزيز حمودة ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، عدد ٢٧٢– ٢٠٠١ ، ص١٠٦ .
٩٢. المصدر نفسه ، ص١٠٧ .
٩٣. ينظر: نقد خطاب الحداثة ، ص٧٧ .
٩٤. المصدر نفسه ، ص٨٢ .

(*) منها ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال:(أهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل) فأرسل إلى أبن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم به فرى الأديم. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (اهجوا المشركين بالشعر فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل) .

(*) أغلب النقاد العرب يرددون مثل هذا الحكم ويرون أن النقد الأخلاقي والديني لا يعدان من مهام الناقد ولا من صميم عمله وإنما هما قضايا يمارسها غير النقاد على الشاعر ٠٠٠والدين والأخلاق بمعزل عن الشعر وهذا تصور ينادي بإبقاء الدين حبيس كتب الفقه من دون أن يتحول إلى واقع٠ ينظر: كتابات عز الدين إسماعيل ومحيي الدين صبحي ومحمد مندور وغيرهم٠

*١٧

(*) عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الاشعار : ويأتيك بالاخبار من لم تزود . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد) – ثم تمثل اوله وترك اخره .. الا كل شيء ماخلا الله باطل ، وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم .

(*) ردد هذا الرأي كثير من النقاد المعاصرين من امثال الدكتور محمد مندور وعز الدين اسماعيل ومحيي الدين صبحي وغيرهم .

(*) ما هزمت الامة في هذه الميادين هزيمة نهائية ، ولا في غيرها ، وما يعتريها – الان – من ضعف في بعض جنباتها فهو نتيجة لضعف ايمان افرادها بالله وتطبيق شرعه ، ثم ضعف ايمانهم بقدرة هذه الامة على النهوض من جديد .

(*) هناك ثمة قول ينسب إلى الأصمعي ذكر في كتاب الموشح صفحة ٨٥يقول فيه:طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة ٠٠٠٠واذا أدخلته في باب الخير لان"٠وللقاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه قول في

هذا الصدد أيضا:...فلوكانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى أسم أبي نؤاس من الداويين ويحذف ذكره أذا عدت الطبقات.....ولكن الأمرين متباينان،والدين بمعزل عن الشعر"وكذلك ذهب الصولي الى هذا الرأي .ويجب التنويه هنا أن أغلب النقاد القدماء اتخذوا موقفا مخالفا كعبد القاهر الجرجاني وابن بسام والقيرواني ثم أن النقاد في قضية الفصل بين الشعر والدين والأخلاق لم تتجاوز الإطار النظري أما على مستوى الممارسة والتطبيق فلم يفصل أحد من النقاد بين الشاعر ومعتقده.ومن الجدير بالذكر أيضا أن هذه الأقوال جاءت في معرض الدفاع عن الشاعر من بعض النقاد الذين اتهموا شاعرا مثل المتنبي بالزندقة.ينظرللمزيد حول هذا الموضوع بحثنا رؤية إسلامية لمفاهيم نقدية .

(*) التراث:يشمل كل ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية ،ويشمل كذلك الوحي الإلهي (القرآن الكريم والسنة النبوية)الذي ورثناه عن أسلافنا والتراث يشمل أشياء كثيرة .

التراث :هو صورة الماضي بكامله والذي يمتد حتى يتصل بالحاضر فهو لا يمثل عصرا بذاته ولا مجتمعا بذاته انه نتاج تراكمي لأمة من الأمم على مر الزمان. ينظر:المنهج الإسلامي في النقد الأدبي –سيد سيد عبد الرزاق–ص١٣ .

(*) لا يخلو تاريخ أي أمة وتراثها الإنساني من العيوب ومنه تاريخ أمتنا لكنها لا تعدو شيئا إلى جانب حسناته

(*) ينظر : المرايا المحدبة والمرايا المقعرة ففيهما ينقل عبد العزيز حمودة الكثير من النصوص النقدية العربية التي تنطوي على غموض وتعقيد على مستوى الكتابة فيذكر مثلا نصين لجابر عصفور أحدهما قبل أن يتحول إلى مساره الحداثي وأخر بعده ، ويحاول أن يقارن بين النصين على مستوى لغة الكتابة النقدية ليثبت في نهاية المطاف أن هذا الغموض أمر مقصود.

ABSTRACT

The aim of this study to try to identify the sources of criticism and use them in the criticism lesson and these sources are the Holy Quran and Sunnah, saying of the companions and followers, blog Islamists and global critical efforts which belong to the Islamic thoughts and visualization .

Then tried to apply the assets on the concepts and ancient and modern concepts issues and read it according to Islamic perspective and the statement of the Islamic position on these concepts.